Phone 22948 Regd. No. L. 1692

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwatul Ulama, Lucknow.(Indian)

قصة الصراع بين الايمان و المادية

(تأملات فى سورة الكهف)

للاستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى

قصة أصحاب الكهف قصة الصراع بين الايمان و المادية أو قصة الصراع بين الاعتماد على الأسباب ، وبين الاعتماد على خالق الأسباب . تنتهى بانتصار الايمان على المادية .

لقد آثر الفتية المؤمنون الايمان على المادة . و آثروا الآجل على العاجل و آثروا أن يعيشوا فقراء غرباء ، و هم مؤمنون ، على أن يعيشوا أغنياء أو أمراء وهم كافرون . . لقد فروا من مقتضى النفس إلى مقتضى الروح ، و من مقتضى العقل إلى مقتضى الايمان ، فتحقق أنهم كانوا أعمق عقلا و أبعد نظراً . وإن العاقبة للمتقين ، وقصة « أصحاب الكهف والرقيم » هى قصة الايمان والفتوة والثبات والتضحية والجهاد التى تتكرر فى تاريخ الانسانية ، وفى تاريخ الحق والعقيدة ، و برهان على أن الأسباب خاضعة للارادة الالهية ، صديقة للايمان و العمل الصالح ، فسبيل المؤمن أن يستمد هذه الارادة بالايمان و العمل الصالح ، ويستحق نصر الله وتأييده

إقرأ هذه القصة القرآنية الجميلة ، الخالدة فى هذا الكتاب الجديد الرائق ، واستلهم منها مايرشدك فى الأوضاع المضطربة القاسية !

الناشر : دار القلم الكويت

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

شعارنا الوحيد

إلى

الاسلام

من

جديد

العدد التاسع

المجلد الخامس عشر

ربيع الأول ١٣٩١هـ

مايو ١٩٧١م

البعث الإسلامى

تصدر :

فى ندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

الاشتراكات

في الهند و باكستان : عشر روبيات - ثمن النسخة روبية واحدة
في العالم العربي : جنيه و ربع (استرليني) (بالبريد العادي)
" " ثلاثة جنيهات إلا ربع (استرليني) (بالبريد الجوى)
في افريقيا الجنوبية والشمالية : جنيه وربع (استرليني) (بالبريد العادي)
" " ثلاثة جنيهات ونصف " (بالبريد الجوى)

المراسلات

العنوان البعث الاسلامي ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
الهاتف : ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨
برقية NADWA, Lucknow

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة " البلاغ " دار العلوم كراچي ١٤ باكستان
مكتب ر الكويت

الوكالات

- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتب الاسلامي ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- إقبال الندوى الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الدار السعودية للنشر ص ب ٢٠٤٣ جده (السعودية)
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)
- مكتبة لأندلس ص ب ٤٦٤٥ كريتر - عدن
  محل قاسم سفيان ص ب ٢٤٢ تعز - جمهورية اليمن
- مكتبة المنار ميدان التحرير - صنعاء - اليمن
- المكتبة الحديثة - دبي (الخليج العربي)

البعث الإسلامي

العدد التاسع

المجلد الخامس عشر

البعث الإسلامي

ربيع الأول
١٣٩١هـ

مايو
١٩٧١م

البعث الإسلامي

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لا يتغير وبين العلم النامى الذى لا يتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، و بين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه ودراسته وتقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر وحارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، وبينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود .

دورنا فى المعركة

إن قراء " البعث الاسلامى " ليسوا مشتركين رسميين أو زبائن يشترونها كما يشترون بضاعتهم كالمواد الغذائية والتموين ، إنهم قبل كل شئ دعاة و مرابطون ، فليكن دورنا و دورهم فى هذه المعركة الضارية ، الحاسمة الفاصلة دور من يتفطن للخطر الحقيق و يخرج للعمل الصامت الدؤب و يؤدى واجبه المنتظر الكبير حسب ما تقتضى به الظروف ، و لا يصر على أسلوب خاص و تكتيك خاص ، بل يغير فيه كلما دعت إليه الحاجة ، و اقتضت به المصلحة فى حدود معالم الشريعة ، و فقه الدعوة ، و ضوء الكتاب و السنة .

رئيس التحرير : محمد الحسني
مدير التحرير : سعيد الأعظمي

الفهرس

المحيا محياكم و الممات مماتكم	محمد الحسنى	٣

التوجيه الإسلامي

موانع الاستفادة من القرآن	الأستاذ أبوالحسن على الحسنى الندوى	١٠
الصفات الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم التى لا نظير لها	الأستاذ السيد محمد جميل (كراتشى)	١٥
مشكلات الشيوعية كما يراها علماء الغرب	بقلم يان س بريلا	٢١

الدعوة الإسلامية

حينما يتم الصفاء لجوهر الدين	فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى	٣٠
المسلمون أمام الواقع و التاريخ	فضيلة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى	٣٨
متى يكون الجهاد فرض كفاية	الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله	٤٥

دراسات وأبحاث

موقع الحديث من الدين	الأستاذ شبير أحمد	٥٤
الصحافة المصرية فى مختلف أدوارها	الاستاذ أبو بكر الحسنى	٦٠

فى رياض الشعر والأدب

الناحية الاقتصادية للاشتراكية !	الاستاذ مسعود الندوى	٧١

اقتصادنا فى ضوء الإسلام

ذكرى حبيب و منزل	الاستاذ واضح رشيد الندوى	٨١

ربانيون

عامر بن شراحيل الشعبى	الأستاذ أرشد حسين الندوى	٨٧

العالم الإسلامي

كفاح المسلمين فى تايلاند	بقلم ونس ووقر	٩٤
أخبار اجتماعية و ثقافية	قلم التحرير	٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المحيا محياكم و الممات مماتكم

لئن سأل سائل : إن حياة النبى ﷺ كلها أسوة ، وكل ما صدر عنه ﷺ من قول وعمل ، وتقرير وإثبات، درس و عبرة ، فهل لنا فى وضعنا الحاضر الجديد ، وفى مشكلاتنا المتجددة المعقدة مثل نحتذيه ، وهل فيها حل لما نحن فيه اليوم من عصبيات جاهلية، وحروب أهلية ، ونزعات إقليمية واتجاهات انفصالية ، واشتباكات دامية بين الأخوة فى اللغة والدين و التراب والطين ، قلنا بلى ! و هذا المثل العظيم ، و هذا الحل السريع الحاسم، هو ما جرى على لسانه الكريم عندما خاطب الأنصار فقال قولته الخالدة : « المحيا محياكم و الممات مماتكم » .

و لئن كان فى جوانب حياته كلها غنى و كفاية ، و لئن كان ليله و نهاره و بيته و بيئته دعوة رسالة و نوراً و هدى فان هذا الجانب من حياته أو هذه المأثرة من مآثره ، و المعجزة من معجزاته هى مواخاته بين المهاجرين و الأنصار ، مواخاة لا نجد لها نظيراً فى التاريخ الانسانى كله على سعته وامتداده ، وفى الأديان كلها على كثرتها و كثرة أتباعها .

و لئن اشتدت حاجاتنا اليوم إلى كل تعليم من تعاليمه ، و سنة من سننه و منهج من مناهجه ، فان حاجتنا إلى هذه الناحية أشد و أعظم ، و أكبر و أهم .

فلنرجع لبعض الوقت إلى عهد النبى الزاهر ، و نرى بأنفسنا كيف عالج الرسول هذه المشكلة الانسانية الخطيرة التى عجز عن حلها كبار المصلحين و المفكرين ، و كبرى الدول و الحكومات .

جاء فى زاد المعاد : « ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين و نصفهم من الأنصار آخى بينهم على المؤاساة و يتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر فلما أنزل الله عز وجل : «أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة » (١) .

و قال ابن إسحاق : و آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار فقال فيما بلغنا ، و نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل « تآخوا فى الله أخوين أخوين » (٢) .

و جاء فيه « فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، و كان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهداً ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يابلال ؟ قال مع أبى رويحة ، لا أفارقه أبداً ، للأخوة التى كان رسول الله ﷺ عقد بينه وبينى ، فضم إليه وضم ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم ، فهو فى خثعم إلى هذا اليوم بالشام (٣) .

و كانت هذه المواخاة اللبنة الأولى التى قام عليها المجتمع الاسلامى

١ — زاد المعاد ج ٢ ص ٢٥٦
٢ — ابن هشام ج ٢ ص ١٢٤
٣ — « « « « ١٢٧

فيما بعد وقضت على كل الفوارق الوطنية و القبلية فى مهدها ، قبل أن يتفاقم شرها ، و يستشرى داؤها فى خلايا المجتمع الاسلامى ، و بقى الصحابة رضى الله عنهم على هذه الحالة حتى قويت شوكة الاسلام ، واستتب الأمر والنظام، فانتقلوا من هذه الأخوة الخاصة — التى كانوا أحوج إليها فى هذه الفترة — إلى أخوة عامة « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

إن شجرة الاقليمية و الانفصالية و العصبية القومية لا تنمو إلا فى مجتمع ضعفت عليه سيطرة الدين ، و لايمكن التغلب عليها باقليمية أوقومية مثلها أو أخبث منها، فالذى خبث لايخرج إلا نكدا ، ومثل من يواجه قومية بقومية ، وعصبية بعصبية ووطنية بوطنية وجاهلية بجاهلية كمن يضع أشواكا جديدة إلى جانب أشواك قديمة بدلا من أن يقيلها و يزيلها ، أو كمن يطفئ ناراً بنار ، بدلا من ماء ، و ما رأيك فى من يصب البترول على النار ثم يشكو من ألسنة النيران ، و اللهيب و الدخان ؟

إن المبادئ التى ينادى بها المتخاصمون و المتحاربون هى لا تكون عادة أكثر من «غطاء جوى » إذا استعملنا الاصطلاح العسكرى ، لتقوية تحركاتهم البرية و البلوغ إلى مراميهم و أهدافهم .

أما هذه المرامى والأهداف فهى إقليمية بحتة، أومادية مجردة فالمهم اليوم عند القوم أن لاينتفع أجنبى — ولو كان أقرب من قريب — من خيرات بلده ، ثانياً أن يكون نصيبه فى المنافع و الأرباح نصيب الأسد ، أن لا تكون رتبته فى الجاه و القوة دون الرتبة الأولى ، وأن يشار إليه بالبنان و يعد من الطراز الأول .

هذه النزعة الاقليمية و المادية تطغى أحياناً كثيرة على الدين ، وتنمو و تقوى و تشتد على حسابه ، و تمس صلب العقيدة والايمان ، و تهدم ذلك الحاجز الذى كان يحول دون هذا الصراع الأهلى والطبقى و القبلى ، فهذا الدين قد جعل كل هذه النزعات و الاتجاهات تحت « مصالح الأمة الكبرى » هى مصالح الوحدة ، والأخوة و العقيدة والايمان ، و الطاعة و الانقياد ، كان الفرد فى هذا الاجتماع مسؤلا عن أمته وشعبه ، لاعن نفسه و أسرته فحسب ، وكان يولى وحـدة الشمل ، و جمع الكلمة ، و تضامن العقيدة و العمل أكبر عنايته و اهتمامه ، و يعتبر نفسه مرابطاً على الثغر ، حارساً للأمانة ، مسؤلا أمام الله يوم القيامة عن دوره وواجبه أيا كان صفته و لونه و نطاقه .

و تسعفنا السيرة النبوية فى هذا المكان ، وتنير طريقنا المظلم المسدود فنجد أن هذه النزعات و الاتجـاهات لا تضر الأمة ما دامت فى خطها المرسوم و نطاقها المعلوم و حدودها الواضحة ، غير باغية ولا عادية ولا جائرة أو جارحة ، فالانسان يحب أسرته ويتمنى خيره ، و يحب فصيلته و قبيله ووطنه و جواره ؛ و يحب بيت أمه و أبيه ، و يتغنى به بعض الأحيان وقد تفيض هذه العواطف البريئة المشبوبة على لسانه فيكون شعراً رقيقاً رائقاً تطرب له الأسماع ، و كل ذلك مجبول مطبوع ، لا تكلف فيه و لا اصطناع ، بل مطلوب و مرحب به ، و قد تعودت على مثل هذه العواطف الحيوانات الأليفة و الطيور ، فما بالك بهذا المخلوق الشريف الذى سجد له الملائكة و علمه الله ما لا يعلم .

فاذا استوت كل هذه الجوانب الانسانية والدوافع الطبيعية تحت السيرة

النبوية ، و سارت على هداها و شذاها و نورهـا ، توصلت إلى نفسها و أدركت هذا « السلك الروحى الدقيق » الذى يربط بين فئات متباينة و مصالح مختلفة ، و فئات متفرقة ، و تقاليد معاكسة ، و قد يبتعد فيه القريب ، و يقرب فيه البعيد ، و قد يهجر أخ أخاه ، و يواخى غريباً لا عهد له به ، فمقياس النبوة هو الايمان لا المصالح المادية المشتركة ، التى تختلف عند كل قوم و فى كل بقعة كاختلاف المناخ و الجو ، و اختلاف الطبيعة و المواسم و الفصول .

إن السيرة النبوية دلتنا على أن الايمان فوق كل هذه الاعتبارات ، و هو لا يغلب بهذه النزعات والاتجاهات ، بل يتحكم فيها ويملك عنانها ، و يصوبها إلى نحور أعدائه ، و لنقرأ قول الله تبارك و تعالى فى وصف النبى وأصحابه ، والثناء على هذه الأخوة التى توثقت بين المهاجرين والأنصار خاصة وبين المؤمنين عامة « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا الآية » وقوله فى وصف المؤمنين من الصحابة و التابعين « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » و « يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة » .

إن ما قام به النبى من التقريب و الدمج بين الانصار والمهاجرين ، لم يكن — كما يبدو للمطلع على سيرته — مجرد أريحية أو خطوة خيرية ، و تعاونية ، إنما هو أساس كبير لتوحيد أجزاء الأمة العظيمة فى مختلف مسالكها و دروبها ، و أدوارها و مراحلها عبر التاريخ .

إنه منهج دائم للأمة حين تتشعب المسالك و تتفرق بهـا العادات واللغات ، و التقاليد ، والأزياء ، وتختلف مصالحها السياسية والاقتصادية،

فهم — رغم كل الأحوال — ركاب سفينة واحدة إذا غرقت غرق أهلها جميعاً بجميع لغاتهم و آدابهم ، وحضاراتهم ، وإنتاجهم ، ومحصولاتهم ، وهنالك لا ينفع الزى القومى ، و الثروة القومية ، « و لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » .

محمـــد الحسنى

كلكم راع و كلكم مسؤل عن رعيته

أصبحت الطبقات و الأجناس فى المجتمع الاسلامى متعاونة متعاضدة لايبغى بعضها على بعض ، فالرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم ، والنساء الصالحات قانتات حافظات للغيب بمـــا حفظ الله ، لهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، و أصبح كل واحد فى المجتمع راعياً و مسؤلا عن رعيته ، الامام راع و مسؤل عن رعيته ، و الرجل راع فى أهله و مسؤل عن رعيته ، و المرأة راعية فى بيت زوجها و مسؤلة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده و مسؤل عن رعيته ، و هكذا كان المجتمع الاسلامى مجتمعاً رشيداً عاقلا مسؤلا عن أعماله .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

التوجيه الإسلامي

بقلم

موانع الاستفادة من القرآن

للاستاذ أبي الحسن على الحسنى الندوى
تعريب من الأردية : ا (سعيد الأعظمى الندوى)

لقد قرن القرآن ذكر موانع الاستفادة من هدايته بذكر الحرمان ، هذه الموانع تقف عقبة كئوداً فى سبيل الانتفاع بموعظته ودعوته ومعتقداته الروحية التى تمهد الطريق إلى ثورة على الأوضاع الفاسدة و إصلاحها ، فان وجدت هذه الأسباب التى نعبر عنها بـ « الموانع » فى المسلمين أيضاً تحول دون استفادتهم من القرآن ، و نتحدث فيما يأتى عن هذه الموانع :

أولا : الكبر - إن السبب الكبير الذى طالما يؤدى الانسان إلى الحرمان من قبول تعاليم الأنبياء و سعادة اتباعهم هو الكبر ، و العزة الكاذبة ، و دافع الحمية الجاهلى ، و قد ينشأ هذا الانكار و الصلف بقبول الحق مباشرة ، لأنه يطلب من صاحبه التنازل عن السلطة و الجاه اللذين كان يتمتع بهما ، كما أنه يطلب منه الاعراض عن العادات الجاهلية والتقاليد البالية ، و صرف النظر عن الأرباح و المنافع ، و يفرض عليه حياة القانون و الشريعة بينما كان يعيش فى حرية و انطلاق . فان التحول عن هذه الأحوال المألوفة يشق على كثير من الناس حتى يضطرهم التكبر إلى إنكار القرآن ، و ذلك ما تشير إليه الآيات التالية : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق و إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، و إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا و إن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين » (سورة

المؤمن) « ويل لكل أفاك أثيم ؛ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم » (سورة الجاثية) « ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا قول البشر » (سورة المدثر) .

و قد يستكبر هؤلاء على الرسول و ينكرون رسالته و تعاليمه نظراً إلى ظاهر حاله من الفقر وضيق اليد ، ويرون اتباعه ذلة ومهانة لأنفسهم و ذلك ما قاله فرعون « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين و لا يكاد يبين فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين » (سورة الزخرف) وجاء فى نفس السورة فى آية أخرى « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وقد تحول بشرية الرسول دون الايمان به ، كما جاء فى سورة التغابن « ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فقالوا أبشر يهدوننا ، فكفروا و تولوا ، و استغنى الله والله غنى حميد » « و قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق ، لو لا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً » (سورة الفرقان) .

و قد يستدلون على إنكارهم الرسول و رفضهم اتباعه بما يرونه من فقر الذين اتبعوه و ازدراء حرفهم التى يمارسونها كما يستندون إلى رذالة نسبهم و يعتبرون ذلك مانعاً عن الدخول فى جماعته ، كما حدث لنوح عليه السلام مع قومه « قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون » «قال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا ، و ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى و ما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » (سورة هود) و قد يمتنعون عن الايمان بالرسل لما يزعمون أنهم هم الذين يستحقون كل خير ، فليس من الخير فى شئ مالا يأتيهم قبل الناس أجمعين

يفعلون ذلك اغتراراً بما نالوا من العزة والمكانة و ما ساعدهم الحظ فى الدنيا ، يتحدث القرآن عن هذه النفسية فى سورة الأحقاف « وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا إليه ، و إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم »

هذه هى العوامل التى دفعت بالمترفهين فى القرية و أصحاب الثراء و الرخاء فيها إلى أن يسبقوا الناس جميعاً فى تكذيب الرسل و معارضة دعوتهم ورسالتهم التى جاؤا بها يتحدث عنهم القرآن فيقول « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون » (سورة الأعراف) « و كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها » (سورة الأنعام)

و على كل فان التكبر مهما كان دافعه و تعددت مظاهره إنما يحول دون الانتفاع التام بالقرآن الكريم بشدة ، و لكى نستفيد من القرآن و نقبل تعاليمه ، و تنفذها فى النفس و المجتمع ، و نحكمها فى أمور الحياة ، و نخضع أمام الهداية التى يدعو إليها الأنبياء عليهم السلام نحتاج إلى قسط كبير من التواضع و الخشوع و الاخلاص و الايثار « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » (سورة النساء) .

ثانياً : المجادلة إن بذل الجهود فى التغلب على القرآن بالمجادلة و المناظرة من غير دليل ، وكذلك الاعتماد على الظن و التخمين فى شرحه و تفسيره يرادف الحرمان من هدايته ، و ينبئ بالكبر الذى ينطوى عليه الصدر ، كما يقول القرآن « إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان

أتاهم ، إن فى صدورهم إلا كبر ما هم بالغيه ، فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير » « و الذين سعوا فى آياتنا معاجزين ؛ أولئك لهم عذاب من رجز أليم ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتاً عند الله و عند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار » (سورة المؤمن) « و كذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » .

ثالثاً : إنكار الآخرة و عبادة المادة ، و هذا الانكار أكبر حائل دون الاستفادة من القرآن و الاتعاظ به ، من بين المعتقدات الكافرة الأخرى ، فان الآخرة أهم أساس يبنى عليه الترغيب و الترهيب و الوعظ و الاصلاح فى القرآن الذى ينذر من عذاب الآخرة و يبشر بثوابها ، و يفصل لنا جميع المعلومات عن سفر الآخرة و يخبر بمراحلها التى يمر بها كل إنسان ثم يقدم تعليمات لازمة عنها ، فالذين يرجون الآخرة لايستغنون عن القرآن بحال ما ، يقول الله تعالى : « والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون » (سورة الأنعام) .

أما الذين ينكرون الآخرة عقيدة و عملا و الذين ينكرونها عملا لا عقيدة ولكنهم مقبلون على الدنيا و المادة فينظرون إلى جميع أمور الحياة بالنظرة المادية فحسب فان القرآن لا يؤثر فيهم بتاتا أو يؤثر تأثيراً ضئيلا ، ولنقرأ ما يقول عنهم القرآن :

« و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ، و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و فى آذانهم وقراً ، و إذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » « إن

الذين لا يؤمنون بالآخرة لا يهديهم الله ؛ و لهم عذاب أليم ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون » ، فأعرض عن من تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، و هو أعلم بمن اهتدى » (سورة النجم) .

و باستيلاء المادية يتبلد حسهم ويغبى عقلهم إلى أنهم لا يستطيعون أن يدركوا غير المادة ؛ و يفكروا فى غيرها ، فلا يلبثون إلا و ينكرون كل شئ سوى المادة التى يرونها و يحسون بها « إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون » (سورة يونس) « بل إدراك علمهم فى الآخرة ، بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون » .

و هناك أمر لا يختص بالكافرين وحدهم بل يعم جميع الشاكين و المنكرين و هو اتخاذ الآيات المتشابهات دليلا على أغراضهم و تضليل الناس بالتحريف والتأويل الخاطئ ، ولا يبعثهم على ذلك إلا زيغ قلوبهم و فساد نياتهم ، يقول الله تعالى « منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، و أخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، و ابتغاء تأويله » (سورة آل عمران) .

الصفات الخاصة بالرسول ﷺ التى لا نظير لها

- ٤ - الأستاذ السيد محمد جميل
رئيس جمعية القرآن الكريم - بكراتشى

١٧— و هنا نقط بميزة لا شبيه لها ، لابد من ذكرها فيما يتعلق بالرسالة الشاملة التى أتى بها الرسول العظيم محمد ﷺ ، وهى الأهمية العظمى التى أولاها للحياة العائلية و لوضع المرأة ، إن الطريقة التى كانت تعامل بها المرأة فى البلاد الأوربية حتى القرن التاسع عشر لهى أمر معروف لكل دارس للتاريخ و خلال زمن النبى قبيل الاسلام كان وضعهن أسوأ .

لقد ألغت المسيحية قانون موسى ولم يكن لها قانون عائلى خاص بها و لكن المسيحيين اتبعوا قانون العائلة و استخداماته الذى كان سائداً طبقاً للقانون الرومانى ، ذلك القانون الذى أعطى النساء بوجه عام المركز الأدنى كما أن اجراءات الزواج لم تكن محددة هى الأخرى و ذلك لفترة طويلة ، إن أقصى ما تمنحه المسيحية من قيمة للنساء هو اعتبارهن كبشر لابد منه و إلا فهن أدوات للشيطان أو ما إلى ذلك و بالطبع لم يكن هناك مجال لحقوق معينة لهن أو أية مزايا فلم يكن بمقدورهن امتلاك أية ممتلكات أو أن يرثن أو شئ و لم تكن للمسيح زوجة . و فى الانجيل الكامل توجد نصوص على أنه رفض الاعتراف أو الاهتمام بأمه ولذا فان الروابط العائلية كانت تعتبر عبئاً يستحب تجنبه و خاصة النساء .

لقد كان النبى الكريم هو الذى استعاد حقوق النساء و منحهن الاعتراف الرسمى و لم يكن هذا الاعتراف العملى محصوراً فى حدود عائلية ولكن وردت فى القرآن الكريم فى العديد من سوره الكثير من التفاصيل المتعلقة بهذا الأمر، لقد فعل ذلك فى حياته القصيرة بالمدينة المنورة حينما كان عمره يزيد عن الأربعة و الخمسين عاما و لكن قضى الرسول الكريم شبابه و أواسط عمره مع أرملة تكبره بخمسة عشر عاما ، و لكنها كانت تنحدر من أسرة كريمة إلى جانب أنها كانت متفهمة ، و هنا فى المدينة المنورة حدثت المناسبات التى تطلبت تعدد الزوجات الذى خدم العديد من الأغراض أثناء حياة النبى و بعد وفاته وخاصة فيما يتعلق بتنظيم بعض الأحكام فى الحياة الأسرية بين مجموعات الناس المتفرقة ، وفيما يتعلق بهذا الموضوع تجدر الاشارة إلى قضية تعـدد الزوجات فى الاسلام التى ثار ضدها الفكر الغربى غير عابئى بالاسباب التى من أجلها أبيحت .

إن التفكير الغربى يثور على تعدد الزوجات و لا يهتز فيما يتعلق بالاختلاط العابث و ما يسمى بالحريات فى العلاقات الجنسية الذى نجده منتشراً و مبشراً به بأكثر من ألف طريقة فى العالم الغربى و فى أجزاء أخرى من العالم فى الوقت الحالى ، إن المجال لا يسمح هنا بالخوض تفصيلا فى النواحى الاجتماعية لهذا الموضوع ، ولكن يمكن أن نقول شيئاً عابراً بشأنه :

إن المسيح لم يلغ القانون الموسوى (بل إنه لم يلغ أى حرف فيه) و لقد أقر قانون موسى تعدد الزوجات كما أن جميع أنبياء العهد القديم مارسوا تعدد الزوجات و لقد كان شيئاً مختلفاً أن عاش يوحنا

المعمدان و كذلك المسيح أعزبين ، لقد مات يوحنا المعمدان أو استشهد فى وقت مبكر للغاية كما رفع المسيح إلى السماء أيضاً فى وقت مبكر ولم يصدر أيهما أية أوامر إلى أى انسان بأن يكون أعزب أو أن يتزوج عدة مرات ، إن الظروف فى الأجزاء المختلفة من العالم و فى الأزمنة المختلفة كثيراً ما تتخذ شكلا معيناً تشير فيه بالتحديد إلى تعدد زواج معين إذا ما كان فيه إنقاذ للمجتمع من شرور تفرق العائلة و انتشار الاختلاط الجنسى فان استقرار العائلة من الأمور ذات الأهمية العظمى بالنسبة لرفاهية المجتمع .

و إذا ما حدث فى مجتمع ما أن كانت هنا نسبة من الفتيات غير المتزوجات مساوية لمثيلتها من الفتيات المتزوجات — أى كان عدد النساء ضعف عدد الرجال — فان مثل هـذا الموقف كفيل بأن يخلق سلسلة من الثورات الأخلاقية و الاضطرابات و الفوضى الاجتماعية بل و من الممكن أن يؤدى إلى الانتحار خاصة إذا كان عددهن يصل إلى الملايين و كن فى حـدود سن الزواج و كن يردن إقامـة أسرة إلا أن حقهن فى ذلك يلغى لغير ما ذنب اقترفنه ؛ ولقد شوهدت العديد من الأمثلة التى تحدث دائماً فيما يسمى ببلدان العالم المتقدمة ، إن معدلات الطلاق المرتفعة الآن بالفعل لا تحرز مزيداً من الزيادة لأن الكثيرين يعيشون الآن كزوج و زوجة من دون أن يسجلوا أنفسهم فى السجلات الرسمية حتى يستطيعا الانفصال دون الاضطرار إلى التوجه إلى ساحات المحاكم .

و هنـاك الآن أكثر من مأة طريقة لتغطية العلاقات الجنسية غير الشرعية وفى هذه الآونة فان الفوضى مسموح بها بينما يعتبر التنظيم خطيئة

لا تغتفر و على ذلك فسوف يؤدى هذا الافتقار إلى التنظيم إلى إنهاء الحضارة إذا ما ترك فى طريقه دون ضابط أو رابط ، وأن العهد القديم ليعترف بتعدد الزوجات على أنه نوع من العلاقات محدد بحقيقة أن النسبة بين الرجال و النساء لا تختلف فى أى مكان و فى أى عصر عن ٩٥ : ١٠٥ بمعنى أن حالات تعدد الزوجات تحدث فى حالة الأرامل لأن المرأة تعيش عادة عمراً أطول من الرجل كما أنهن لا يتعرضن للمخاطر كما فى حالة الرجال .

و هناك الكثير من الأسباب الأخرى التى تتطلب تعدد الزوجات منها مثلا أن يكون ذلك هو البديل عن الاستغناء عن الزوجة الأولى بالطلاق و لكن المقام هنا لا يسمح بالخوض فى التفاصيل .

١٨— لقد أفرد الله عز و جل فى كتابه العزيز قسطاً كبيراً من الآيات المحكمات لوصف الحياة العائلية لرسوله الكريم وذلك لتكون منارات مضيئة يسير على هداها المؤمنون و تتبع خطواتها أجيال البشر الذين يأتون من بعده .

وكما تعرف الدنيا فقد حقق النبى ﷺ أعظم ثورة حدثت فى العالم و لم يسجل التاريخ شبيهاً لها ، و كما نعرف فان الجزيرة العربية بلد كبير مبعثر السكان كل وحدة من وحداته السكانية منفصلة عن الأخرى بمجموعة من التلال و صحارى شاسعة من الرمال ، و لم تكن توجد أية طرق تربط بينها فى ذلك الوقت و لقد تطلب تحقيق تلك الثورة و تحقيق استمرارها جهداً يفوق كل وصف ، لقد قضى النبى الكريم أعوامه الثلاثة عشر الأولى من الدعوة فى مكة يعلن فيها تعاليم الدين الحنيف على مسمع أناس

معادين للدعوة عداوة مريرة وكانت النتيجة أن آمنت حفنة تقدر بحوالى ثلاث مأة مؤمن ، وفى السنوات العشر الأخيرة من أيام النبوة تغير وجه شبه الجزيرة العربية فى أيام حياة النبى ثم تغير قلب العالم القديم كله فى الخمسين عاما اللاحقة .

وفى الحقيقة فان كل يوم من أيام السنوات العشر فى المدينة كان لها حسابها كما كان النبى الكريم يحسن استغلال كل ساعة فيها ، لقد تحتم أن تحدث ثورة فى حياة كل فرد من الأفراد الذين يكونون الأمة والذين كان عليهم أن يتحملوا العبئة بعد النبى ، كما كان على النبى فى هذه الفترة المحددة من الزمان أن يرسى فى قلوب صحابته و المؤمنين الايمان القوى بالله وأن يلهمهم بروحانية و صفاء كانت تعتبر الأنفاس التى يحيا بها هو كما كان كل واحد من الصحابة يتبع أوامر الله و سيرة نبيه الكريم فى كل أمر من أمور حياته و لهذا فان دور النبى كان بالغ الصعوبة و عظيم الأهمية ، لقد كانت واجبات مهمته تشغله آناء الليل و أطراف النهار ، لقد كانت حياته نموذجاً للتقشف إلا أنه تحتم عليه أن يظهر لأتباعه نوع المسئوليات التى ينبغى عليهم تحملها تجاه نسائهم فى عصر كانت النسوة تعامل كالأمتعة .

و لكن القرآن الكريم يأمر الرجال بممارسة قدر كبير من ضبط النفس فيما يتعلق بغضبهم على نسائهم أو فيما يتعلق بالسماح لأنفسهم بممارسة سلطانهم فى الانفصال فى حالات الغضب و الاستفزاز ، لقد ذهب الخالق سبحانه وتعالى إلى مدى كبير فى الدفاع عن النساء الضعيفات

واهداء الرجال بأشياء طيبة فى الحياة الدنيا والحياة الآخرة إذا ما تصرفوا بلطف و كرم مع نسائهم و إذا حافظوا على روابط عائلاتهم إلى أكبر قدر ممكن ، كما أن الرسول الكريم كان يظهر — بالرغم من الضغط الكبير الذى كان يمليه عصره — اهتماما عظيماً بالنساء اللائى كن مرتبطات به حتى يجعلهن سيدات بالرغم من حيـاة التقشف العظيمة التى كان يحياها .

لقد أصبح مستوى العطف و الاهتمام الذى أرساه الرسول ﷺ مستوى طبيعياً للمجتمع ، وحل محل القواعد الوضيعة والمعاملات التى كانت سائدة من قبل ، إن مثل هـذه الأحكام و التعليمات التى وردت فى القرآن الكريم و التى برزت تفصيلاتهـا فى السنة لا يمكن أن توجد فى أى أدب دينى آخر متشابه مع الاسلام فى القوة و المكانة .

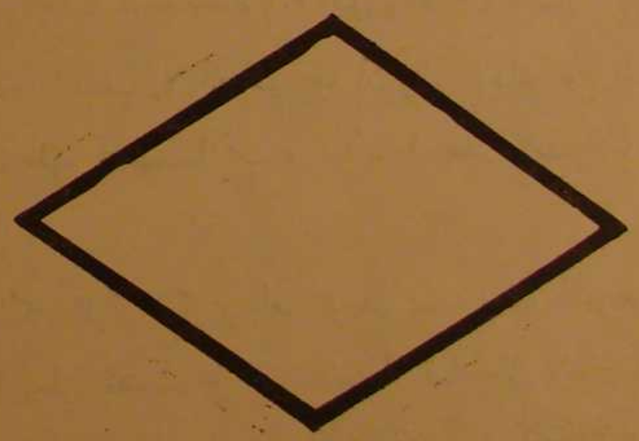

مشكلات الشيوعية ،

كما يراها علماء الغرب

بقلم : يان س . بريبلا

إن المشكلة التى تواجهها الشيوعية اليوم ، كما كانت دائماً ، هى أن تقلب مبادئ الماركسية و تضع على الكائنات البشرية لحماً و دماً و تضفى عليهم صفة الآدمية ، وأن تضع الانسان فى مكانه الحقيقى ، لا فوق المجتمع ولكن فى مقدمة المجتمع و تعامله كانسان له وجوده الخاص و ليس كمجرد طاقة فى حد ذاته و كجزء من مجموع ، و برغم أن الشيوعيين بارعون فى فهم حركة التاريخ الضخمة ، و يدركون أساليب اغتصاب السلطة وما ينشأ عنها من سخط شعبى إدراكا تاماً ، إلا أنهم يعجزون عن الحكم على الناس كأفراد ، فتراهم يتعاملون مع كتلة الشعب بجرأة و جسارة ، و لكنهم هلعون خائفون مترددون حينما يقفون أمام شخص مثل سولجينيتسين أو مثل باسترناك .

و من الصفـات الخـاصة الملازمة للماركسية ، صفة تتسم بالفعلية البوليسية ، و هى انعدام الثقـة فى الفرد ، فالفرد موضع شك دائماً ، إذ يحتمل أن يكون مصدراً للاذى والضرر ، حتى و لو كان ما يقوله أو يفعله كله على مرأى و مسمع من النـاس ، إذ يبقى هناك دائماً ما لم يقله أو لم يفعله ، و من هنا ، يلزم أن يوضع تحت المراقبة و الاختبار و التحرى بصفة دائمة ، إذ يحتمل أن يحدث ما لا تحمد عقباه ، و يوجد فى المجتمع

الشيوعى ما يسمى « المخبر » و هذا المخبر ليس من الضرورى أن يكون أحـد رجال البوليس السرى المحترفين ، و لكنه مواطن عادى يكون فى الغالب مضطراً لأن يقوم بهذا الدور و مرغماً على الطاعة ، ثم فرضوا على الناس نمطاً واحداً ينبغى عليهم جميعاً أن يتبعوه ، و وضعوا نموذجاً معيناً للانسان كما يفهموه من وجهة نظرهم الماركسية و أوجبوا على الناس جميعاً أن يغيروا من أنفسهم ليصيروا مماثلين لذلك النموذج ، و فى رأيهم أن تنوع الأنماط واختلاف الرغبات هى الفوضى و ليست التعبير الصادق عن الحياة نفسها ، وسرى هذا المنطق على كل شئ فى حياة الناس ، فهناك طراز واحد لكل شئ ينبغى على الجميع أن يرضوا به ويذعنوا له ، حتى فيما يقدم إلى الناس من سلع و بضائع استهلاكية ؛ فليس هناك مجال للرغبات الخاصة للفرد التى تلزمه ليعيش و يتمتع بحقه فى اختيار ما يلائمه و يلائم احتياجاته ويشبع رغبته الشخصية التى تجعله يشعر بأنه كائن بشرى يحيا حياة عصرية ، فالرغبة الشخصية فى نظرهم هى العدو ، و هى تخريب للمجتمع و تبديد لامكانياته واهدار لطاقته .

وكان من نتائج وجود « المخبرين » المندسين فى كل شق و ناحية ، أن زرعوا الخوف و الشك و الريبة فى علاقات الناس اليومية العادية بعضهم ببعض ، و صار الجميع يعيشون فى خشية دائمة أن ينحرف سلوكهم بشكل يمكن ملاحظته عن نموذج الانسان الاشتراكى الذى وضعوه لهم ليحتذوا به ، و أصبح السلوك الشائع بين الناس هو الانحناء و الخنوع والتخلى عن الرغبة الشخصية ، فالفرد لدى ماركس لا قيمة له ولا وزن ، ولكن الناس فى مجموعهم هم الذين يعمل حسابهم ، وهم الذين يعتد بهم ،

و هم الذين يصنعون التاريخ ويحركونه .

و إذا ما ذهب المرء إلى الشرق ، إلى العالم الشيوعى ، فانه سوف يدرك أن مشكلة الشيوعية لا علاقة لها كثيراً بمستويات المعيشة بقدر علاقتها الكبيرة بمستويات الحرية ، فانه من المحتمل جداً أن يهتم السوفييت و كذلك الصينيون فى المستقبل بتوفير كميات و أنواع كافية من البضائع و الخدمات المناسبة بهدف المحافظة على الأوضاع السياسية القائمة ، و على أى حال فقد حدث تقدم ملحوظ فى الأحوال المادية فى الاتحاد السوفييتى عما كانت عليه منذ سنوات قليلة ، و من المحتمل جداً أن تتحسن أكثر أيضاً ، ولكن هذا كله لا يعنى شيئاً بالنسبة لمستوى و مساحة الاختيارات المتاحة للفرد فى مسائل غير الأحذية و الملابس العصرية و بعض السلع الكمالية ، و فى الحقيقة فان مسألة تيسير ظروف المعيشة المادية قد تقنع قطاعاً هاماً من الشعب بأن الحال قد طابت ، مسألة يمكن المجادلة فيهـا ؛ فان توفير الاختيارات المتنوعة فى أمور غير السلع الاستهلاكية ربما يعتبر عنصراً أساسياً فى تركيب التقدم المادى ، كما أنه لا يمكن إهمال تركيز السلطة فى يد مجموعة قليلة من الأفراد و جعلها أمراً معقولا و مقبولا لدى الناس ، و من المعروف أن الدول البوليسية ذات المستويات المعيشية العالية توجد و تزدهر ؛ و يعمل فيها العلماء و الرياضيون و المهندسون فى أجهزة التحكم والسيطرة المركزية و يستخدمون أحدث الوسائل والأجهزة العلمية والعقول الألكترونية لاحكام النظام المروع للسيطرة على الفرد .

إن فكرة اورويل عن المستقبل لتدل على الكثير هنا ، فهذه الفكرة تسلم بأن الجيش البشرى فى حركة تقدم دائمة من العبودية إلى الحرية ،

وهى بذلك تثير السؤال الأساسى عما إذا كانت الحرية هى الحال الطبيعية للانسان و ليست حدثاً تاريخياً عرضياً له حدود جغرافية و زمنية ، إن الدليل الذاتى على حرية الفرد ليس وحياً منزلا و لا هو ممارسة بدنية ، بل على العكس من ذلك ، فانه قد تحقق من خلال ممارسة أسلوب معين من التفكير ، و هو التفكير الذى يسلم بأهمية و قيمة الانسان الفرد والذى يرى المجتمع على أنه وعاء واحد يضم عدداً من الأفراد الذين يستطيع كل منهم أن يعبر عن نفسه و عن ذاته من داخله ، أى أن المجتمع أداة تخدم الأفراد ، و مثل هذا التفكير ، برغم ما قد يدعونه ؛ ليس بالتفكير الماركسى و خصوصاً الماركسى اللينينى بأى حال من الأحوال ؛ فالانسان فى نظر ماركس ولينين يحقق ذاته فقط عندما يقبل بضرورة تحويل نفسه إلى صورة الانسان عندما يتحد مع المجتمع و لا يتميز عليه — أى دمية عصربة تنطق وتتحرك و تؤدى ما يطلب منها - و معنى هذا الكلام عملياً أن الفرد يجب أن ينزل عن حقه فى التعبير عن ذاته إلى من ينوب عنه (و هو عادة لا يمثله) و لقد تحدث ليبرمان عن « الوصايا الجزئية الخفية » التى يمارسها المركز على مجال التخطيط و عن إحجام الدولة عن منح المسؤلية عن المشروعات الحكومية إلا القليل الهين من سلطة اتخاذ القرارات ، و المشكلة فى حقيقتها أكبر من ذلك ، فهذه الوصايا نابعة من فلسفة اجتماعية بذاتها ، وإذا لم تتغير إلى عكسها تماماً ، فان ما يقوله ليبرمان سوف يظل كما هو الآن ليس إلا ترميماً جزئياً و ليس اصلاحاً شاملا لنظام اقتصادى مبنى على طراز هرمى مقلوب .

و هناك مشكلة ثانيـة من مشاكل الماركسية و المجتمعات الماركسية

اللينينية التى تنبثق عنها ، و هى الزعم بأن الكراهية الجماعية تقوم بدور الوسيط الكيميائى فى عملية التفاعل التاريخى ، و إن الكراهية الطبقية هى التى حركت الجنس البشرى عبر القرون و دفعته إلى الامام والى الأعلى — كراهية يزكى نارها التناقض فى التركيب الاقتصادى القاعدى للمجتمع ، إنه لافتراض واه سقيم هذا الذى يريدون أن يبنوا عليه مجتمع المستقبل المتوافق المنسجم مع بعضه ، إنه لأساس حزب مزعزع لاقامة العلاقات الدولية مع أولئك التعساء الذين لا زالوا يعيشون فى مرحلة ما قبل الاشتراكية ، إنه لمشهد بائس للانسان و للبشرية ، و الدواء الموصوف لها أمر من الداء نفسه : و هو اذابة الأفراد فى كيان واحد ، متى كانت الكراهية تثمر خيراً ! إن إلصاق صفة الكراهية بالناس جملة ورفع هذه الصفة الخبيثة إلى مستوى أن تكون هى المحرك للتاريخ فى عهود ما قبل الشيوعية لتنعكس ظلاله على القضية بأكملها ، هو الحجة التى يتعللون بها وهى تعبير عما يضمرونه من شك وخشية نحو الناس و رغبتهم فى التدخل فى حياتهم الخاصة ، و يوجد من الأدلة ما لا يحصى على افتقار الفكر الماركسى إلى أبسط قواعد الانسانية التى تحدث عنها المئات من المفكرين المتحررين على مر العصور .

إن المفهوم الماركسى عن الطبقات الاجتماعية ، أى تقسيم المجتمع إلى طبقات حسب ملكية وسائل الانتاج ، ليبرز مشاكل أخرى ، ولو أن أى ماركسى سوف ينكر ذلك بكل أباء وأنفة ، و نعنى هنا فكرة « الصفوة » أو الجماعة المختارة ، و هى صورة من الحق الالهى للملوك ، ولكنها مجددة و موضوعة فى اطار علمى ، فالبروليتاريا - فى رأيهم - قد اختارهم التاريخ

ليخلصوا الانسانية من شقائها ، و لكن حيث إن البشر ، حتى البروليتاريا لا يمكن الوثوق من أنهم يعرفون حقائق الأمور و ما هى مصالحهم التاريخية الحقيقية ، فان سلطة اتخاذ القرارات يجب أن تنقل من البروليتاريا إلى ممثليهم الذين عينهم التاريخ لقيادتهم ، إلى الطليعة المختارة ، إلى الحزب الشيوعى و جهاز الحكم الذى يحمل العبء بكل سرور ، و لكن حيث إن هذه الطليعة المختارة أفراد يمكن أن يكون لهم أخطاؤهم ، فان مسئولية قيادتهم للخروج بهم من قفار الرأسمالية إلى جنة الشيوعية الموعودة ، يجب أن تنتقل إلى مجموعة أصغر من القادة — و فى أغلب الأحيان تتركز سلطة اتخاذ القرارات فى يد رجل واحد يأخذ لنفسه كل صلاحيات أعوانه و هكذا يقوم مجتمع المستقبل الذى تعمه المساواة ، على أبشع صورة من عدم المساواة فى السلطة و النفوذ .

إن النظر إلى البشر ينطوى أساساً على أنهم طاقة منتجة على امتهان خطير لانسانيتهم ، و قد يكون مما يمكن المجادلة فيه أن التركيز على الانتاج يمنح العمل الانسانى نغمة خاصة يمكن أن يشعر المرء بها من ذلك السعى الدائب « للريكاردیين » لايجاد تفسير لقيم السلع مبنى على قيمة العمل ؛ و لكن التركيز على وظيفة الانسان كصانع للسلع ، يحمل اغفالا كبيراً للغاية أو للغرض من الانتاج ، ألا و هى اشباع حاجات الانسان و توفير الرفاهية له ، وبنقل هذه الأفكار إلى السياسة تصبح سياسة تأجيل الحاجات الشخصية فى مراحل النمو الاقتصادى المبكرة — إن لم يكن دائماً كما هو الحال مع الماويين — هى الطريق السهل أمام السوفييت ، إن مشكلة اعادة ترتيب أوليات الانفاق فى الاتحاد السوفيتى أو فى أى مكان

آخر فى العالم الشيوعى ، لم تكن هكذا ببساطة مشكلة اقتصادية ، فانها تحمل فى ثناياها دلالات أشد عمقاً على مبدأ التنقيح الذى يسير عليه السوفييت بعد ستالين ، و هنا كما هو الحال دائماً ، وقف القادة السوفييت مترددين حائرين — فان الأمر يحتاج لا إلى استبدال ألفاظ بأخرى ، ولكن إلى تحويل هام جوهرى فى قوانين القيمة .

إن الماركسية تحتوى على عنصر يوتوبى مؤثر ، يسير فى كل نظريات ماركس الاقتصادية و فلسفته الاجتماعية . فان تحقيق الشيوعية الكاملة ، هو خاتمة المطاف ونهاية الطريق ، والغاية المنطقية التى تعبر عن الانسانية أرقى و أصدق تعبير ، والتى يسير المجتمع الانسانى نحوها بكامله ، فالاشتراكيون يسعون إليها بارادتهم وقصدهم ، والآخرون ـ الاقطاعيون والرأسماليون ـ يتحركون أيضاً نحوها على الرغم من نواياهم و رغباتهم الشخصية ، مع أن ماركس طالما رفض حجج وأفكار الاشتراكيين المثاليين ، لأنها خطأ وفراغ عقول ، فانها قد تركت آثاراً واضحة على الفكر الماركسى لا يمكن تجاهلها أو إنكارها ، صار لهـا علاقة كبيرة بالجدل العلمى للفكر الماركسى ؛ فان وجود مثل أعلى أو غاية مثالية مبنية على فكرة عاطفية ينذر بأن هذه الغاية سوف تستغل فى تبرير الوسيلة الاستبدادية المؤسفة التى تتبع لتحقيقها و هذا هو بالضبط ما حدث فعلا فى الاتحاد السوفييتى و البلاد الشيوعية الأخرى ، فقد استغلت الغاية بالفعل لتبرير الوسيلة و فى جعل التصرفات التى لا يمكن أن تقف على قدميها ، استناداً إلى جـدارة أو استحقاق ، تصرفات منطقية متمشية مع العقل .

وهذا بخلاف أن الحرية ليست فى الحقيقة غاية أو هدفاً يسعى المرء

للوغه لذاته ، فالحرية وسيلة ضرورية حيوية لكى يستطيع الفرد أن يمارس حقه فى الاختيار الذى هو الحصيلة النهائية لعملية الحرية ؛ و مهما كان هدف مجتمع ما ، هدفاً سامياً حميداً ، فمن الممكن أن ينظر إليه كشئ صعب التحقيق بعيد المنال من خلال الرؤية غير الواضحة أو الادراك المشوه ، فان المجتمعات التى تقوم على أفكار خيالية تميل لأن تكون ، من الناحية العلمية ، مجتمعات غير انسانية ؛ لأن مؤسسى هذه المجتمعات غالباً ما يكونون من ذلك النوع من الرجال الذى يمثل « الحلم » لديهم كل شئ ، أما الطريق الذى يسلكونه لبلوغ أحلامهم و تحقيقها فيكون ذا أهميـــة قليلة ، إن الخياليين لديهم عادة استعدادات قوية للتعصب ، و التعصب يسمح بشرور كثيرة منها القسوة ، أى أنه لا يمانع فى استخدام القسوة فى ظروف ما من أجل تحقيق المكاسب الافتراضية التى يرجى تحقيقهـا فى المستقبل ، و المجتمعات الخيالية دائماً تنجب من أهلها نوعاً من المبشرين لها الذين يتولون تفسير تكهناتها بالغيب ، وينتهى الأمر بهؤلاء المبشرين أن يصيروا رجال بوليس و ممثلى الاتهام و جلادين و بيروقراطيين .

الدّعوة الإسلاميّة

حينما يتم الصفاء لجوهر الدين

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

تعليم الله لنا بتكرار الضراعة إليه بـ (إياك نعبد و إياك نستعين) يكشف لنا عن فضيحة غش يعلم الله ، فأولا : أن شياطين الانس من اليهود يوحون به إلى أوليائهم من الملاحدة والشيوعيين ونحوهم ، يقصدون به تحريف الدين و قلب حقائقه ومعانيه باسم تجلية جوهره ، أو بزعم أنه ثورات أو تسمية جوهر رسالته ، بـ (الاقناع الحر) الذى يقصدون به تفشى الالحاد ، و إبعاد سيطرة الدين عن النفوس كما تنص مواثيقهم الوطنية بشأن الدين ، تلك المواثيق المطبوخة طبخة يهودية ، و التى من أجلهـا شط ملاحدة الكتاب فى تفسير الدين تفسيراً طبقياً و ثورياً ، و إخضاع نصوصه و تشريعاته للفكر الماركسى اليهودى ، بل جعل تاريخ أمته يدور عليه ، كل ما جرى مما يعلم الله وقوعه قد كفانا إياه بكل وضوح فى هذه الآية الكريمة ، فهى توضح لنا أولا أن الدين كله عبادة خالصة لله ، واستعانة به فقط .

و (ثانياً) أن العبادة لا تكون عبادة بمعناها الصحيح حتى تكون ناشئة عن حب صحيح ، وإخلاص صادق وتعظيم كامل لله تعالى ورسوله ، و ذلك يستلزم معاملة الله و رسوله معاملة المحب لحبيبه ، من كامل النصح و الصدق و الاشفاق و بذل النفس و النفيس فى سبيل مرضاته .

و (ثالثاً) حصر التلقى لجميع أنواع العبادة و السلوك من وحيه تعالى كتاباً و سنه والتكيف بهما دون تكييفهما وإخضاع نصوصهما للاهواء بل بادراك معانيهما بحسن التصور المستمد من ذاتهما لا من مصدر آخر أو من مقولات يفتعلها بنفسه أو يقلد بها غيره فيجعلها ميزاناً لما أنزل الله كشأن المنطقيين السابقين أو المعاصرين اللاحقين ممن يستمدون تأويل وحى الله و تحريفه من مقررات سابقة أو لاحقة ، لأن هذا عين الضلال و المشاقة لله و رسوله و التقديم بين يديهما (عياذاً بالله من ذلك) .

و (رابعاً) أن عبادة الله لا تكمل إلا بكمال طاعته و اجتناب نواهيه ؛ و التزام حكمه ، و حفظ حدوده فى جميع شؤون الحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية والاقتصادية ، دون أن يجعل الانسان لنفسه الخيرة فى أى شئ كان ، بل يكون مرتبطاً بشريعة الله نصاً و معنى . لأن من جعل لنفسه الخيار فى ما يهواه كان خارجاً من عبادة الله إلى عبادة الهوى و الشيطان ، و أعظم جرما منه من جنى على النصوص بتأويلها وفق ما يشتهيه أو وفق رغبة من يقلده ، لأنه متبع لليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، فجريمته تتضاعف لجمعه بين اتباع الهوى ، و تحريف النصوص بسببه ، وما أكثر أهل هذا النوع ممن غشهم اليهود طيلة القرون إلى يومنا هذا ، و إلى يوم القيامة بشتى المذاهب و الأحابيل .

و (خامساً) أن هذه الآية الكريمة (إياك نعبد و إياك نستعين) التى يكرر المسلم المؤمن ضراعته بها لله ، و يجدد عهده بها معه آية تفسر كينونته فى الأرض حسب إرادة الله الأزلية السرمدية و علمه المحيط الأبدى ، و حكمته الشاملة لجميع تطورات العصور ، و اختلاف البيئات ،

فالانسان مخلوق بطبيعته الحادثة الناقصة ، وإدراكه الضيق الذى مهما توسع فانه محدود قطعاً بحسب طبيعته أولا ، ثم هو محدود بوظيفته برب العالمين ثانياً ، وظيفة الخلافة فى الأرض لتحقيق جميع معانى العبادة التى تقتضيها هـذه الآية نصاً و معنى ، من التزام حكم الله بلا نقص و لا زيادة ، و قصر النظر فى معنى وحيه عليه و انحصار التلقى منه وحده أى مما أنزل على محمد عليه الصلاة و السلام فقط ، دون غيره من الأنبياء فضلا عن أقوال غيرهم من الملاحدة و الدجاجلة أفراخ اليهود .

فهذه الآية الكريمة تقرر له العقيدة الربانية التى تربطه مع الله بتوجيه الربوبية و الألوهيـة ، و تفسو له ما حوله كما تفسر له مكانه ، و تضبط وظيفته بضوابط لا تتغير و لا تتأثر بملابسات العصر و البيئة ، لأنها من وضع علام الغيوب العليم الحكيم ، بمصالح عباده على الدوام ، و هى واضحة فى غاية الصفاء لا يعتريها ما يحتاج إلى تجليـة ، كما يزعمه المبطلون المغرضون الذين لا يرضون من مؤظفيهم تعطيل قوانينهم أو تحريفها بحجة تجلية جوهرها ؛ و نحو ذلك مما جعلوا لأنفسهم منزلة أعلى من الله و رسوله .

و (سادساً) إنها توجب على المسلم المؤمن صدق البيعة مع الله للنفس والمال ، بدون توقف ولا تخلف لتكون كلمة الله هى العليا ، وحكمه النافذ المقام فى كل أرض يحلها المسلمون بحيث لا يحكم فيها بغير شريعة الله ولا يفتن فيهـا أحد عن دينه بدعوة إلى غيره من أى ملة أو نحلة أو نظرية أو مذهب كما قال تعالى (و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله) .

و هذه البيعة مع الله ليس فيها للمسلم المؤمن تخلف و لا خيـار ، لأن الله لم يقل بصيغة المضارع (إن الله يشترى) و لكنه أتى بصيغة الماضى القاطعة لكل خيار ، المبطل لكل تعليل (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله .. - ٩ ١١١) فالمتخلف عن بيعة الله ناقض عهده الذى يجدده مع الله فى كل ركعة بـ (إياك نعبد و إياك نستعين) لم يصدق مع الله فى عبادته بطاعة أوامره و لم يصدق الله فى كفايتـه و نصره له ، فيحقق الاستعانة به فى صدق الجهاد فى سبيله والاستخفاف بما عداه ؛ بل انصبغ بقوة أعدائه ؛ وأخافته بهارجهم وتهويلاتهم ولم يوقن تماماً بأن الله كاف عبده وناصره ومنجيه ، و إنه (لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا) و إنه مولانا (نعم المولى و نعم النصير) و إنه (موهن كيد الكافرين)

بل ضعفت عقيدته و خارت قواه الايمانيـة ، و انهزم هزيمـة عقلية جعلته يستمد العون من أعداء الله و أعدائه ، أو يتوقف عن قتال الجميع تعللا بضعفه أو عدم اتحـاد قومه ، أو عدم حصوله على التغطية الجوية المادية ، ناسياً حصانة السماء لمن تدرع بالقوة الروحية و معللا خيانته لله بانتظار وحدة قومه أو تحصيل قوة مادية ، ناسياً أنه مهما حصل عليها فأعداؤه يحصلون على أضعافهـا ، فلا تجديه ماديانه مع تضاعف ماديات عدوه ، إذا لم يقرن مع قوته المـادية قوة روحية كما يطلب الله منه

و (سابعاً) إن هذه الآية الكريمة توجب على المسلم المؤمن أن يكفر بما يناقضها من الأوضاع البشرية كافة فيكفر بجميع أنواع الطاغوت

من سائر المسميات الشخصية و المذهبية يبغض كل معبود من دون الله ويكفر به ويبغض كل مشرع من دون الله ويكفر به ويبغض كل مذهب أو مبدء أو نظرية مخالفة لدين الله تقتضى تحكيم غيره أو العمل لغيره من قومية أو وطنية أو أى مذهب مادى نبشته اليهودية العالمية من مزابلها الفكرية كالشيوعية وفروعها المزعومة بالاشتراكية فيعادى جميع ذلك ويحاربه بلا هوادة ليحقق مدلول هذه الآية و يكون مخلصاً لله صادقا معه لا يلتقى مع أعدائه فى أى عقيدة أو فكرة أو خلق أو سلوك ليحصل على قيمة حياته و يجنى ثمرة جهاده و بذله

أما من ساير الركب المادى الذى تحركه اليهودية العالمية و تسيره فانه بعيد عن عبادة الله شارد عن نصره ومدده . حارم نفسه من الحرية التى وهبه الله إياها و رابط لها بحبال الرق المختلفة الأسماء والألوان حسب المعسكرات الشرقية و الغربية فما أبعده من الوفاء مع الله وما أحرمه من نيل التقدم الصحيح و العز الصحيح و الحرية الصحيحة و الحياة الطيبة الفاضلة بل هو أضل ممن يسير مع السراب .

و (ثامناً) إن هذه الآية الكريمة التى ضمنها الله جميع معانى وحيه و معانى الحكمة التى خلق بنى الانسان من أجلها جميع مدلولاتها صافية صفاء لا يشوبه أى غموض و لا اشتباه ولا يعتريه أى صدىً أو غبار فلا يحتاج أهل هذه الآية إلى زعنفة ملحد تبرزه اليهودية العالمية بمذاهبها وأفكارها وأحابيل مكرها فيزعم أن الدين يحتاج إلى تجلية جوهرها بل إن الدين الصحيح المستمد من مدلول هذه الآية واضح كل الوضوح صاف كل الصفاء لا يعوزه إلا من يحمله بصدق واخلاص وقوة ومبالغة

فى التضحية الواجبة لله تعالى بخلاف الأديان المزعومة الأخرى من يهودية ونصرانية و مجوسية و غيرها فانها مجرد افتراء على الله ، وأغلبها من مكر اليهود و غشهم ومع ذلك فهما حاولوا تجليتها فانهم كمن يغسل الدم بالدم لأنهم يعالجون الباطل اليهودى بباطل يهودى جديد .

أما الدين الاسلامى فلو لم يكن فيه إلا هذه الآية لكفت أهلها بوضوح معانيها و صفاء جوهرها اللغوى و المعنوى بحيث لا تحتاج إلى تأويل خارج عن وحى الله ، بل يكون ذلك التأويل تحريفاً يهودياً وجناية إلحادية تكون جريمة صاحبها أعظم من جريمة الزانى و السارق و القاتل ، لأن الفتنة فتنة الناس عن دين الله الحق (أشد من القتل - و أكبر من القتل) .

فما أجلى هداية الله و أبلغها لنا بهذه الآية الكريمة التى يجب علينا أن تكون غاية هدفنا و منتهى أملنا و مبلغ علمنا و منتهى قصدنا ، و إن نحصر جهودنا فى تحقيق معانيها و نبذل النفس و النفيس لحمايتها من كل محرف دساس ، و أن يعتبر كل واحد منا نفسه أنه على ثغر من ثغور الاسلام ، فيعمل جاهداً و يقف ليثا صائلا حتى لا يؤتى الاسلام من قبله ، ومن كان مع الله كان الله معه .

و كيف يحتاج الدين الاسلامى إلى تجلية جوهره كما يريد ملاحدة اليهود الشيوعيين و تلاميذهم ، و آية واحدة من كتاب الله و هى هذه جمع فيها بين ما هو موجه إلى الظاهر والباطن ، الظاهر قول اللسان اعترافا و ضراعة ، و الباطن تحقق القلب بجميع مقتضياتها ولوازمها وجمع فيها بين الخضوع و الانقياد باطنا و ظاهراً و الصدق والاخلاص التام

لله بجميع حقوق الدين فى كافة شؤون الحياة و ملابساتها .

فهذه الآية تملأ قلوب العازمين الصادقين أمناً وإيماناً ويقيناً وهداية و تعبداً لله ، وتألهاً له ، طبقا لأوامره و وفق ما يحبه ، كما تملأ القلوب إنابة إليه ، و مراقبة له فى كل الأحوال ، و لجوءاً إليـــه فى كل النوازل و المهمات ، و تحشوها وجلا من ذكره ، و طمأنينة بمعرفته ؛ و توجب للعبد قوة التوكل ، وتمام الاعتماد على الله والاستعانة به فى مزاولة جميع الأعمال الدينية و الدنيوية .

و كلما ضعفت إرادته أو وهنت قوته فى محاولة أى مهمـــة أمدته هذه الآية بقوة قلبية تجعله يستهين بالمصاعب و يستخف بما أمامه من القوى المادية الشريرة ، و كلما أحاطت به المخاوف كان إيقانه بهذه الآية حصنا حصينا يلجأ إليه فيطمئن قلبه و تسكن نفسه ، لقوة إيمانه بأن الله ناصر المؤمنين و منجيهم (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) كما مدح الله أسلافنا بقوله (الذين قال لهم النـاس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .. الآية ١٧٣ من سورة آل عمران إلى ١٧٥ فلا تخافوهم و خافون إن كنتم مؤمنين) .

و كلما انطبع المؤمن بهذه الآية و تكيف بها فقصر منهله على وحى الله و اتجاهه إلى الله اكتسب العزة و القوة و الشجاعة القولية و الفعلية ، لقوة يقينه أن الله هو النافع الضار المعطى المانع ، وأن من اعتز به فهو العزيز ، و من اعتز بغيره فهو الذليل ، فلا يرجو غيره و لا يخـاف سواه ، و بذلك يتم له التحرر من رق المخلوقين ، و يشمخ برأســه عن

الخضوع لأعلى قوة أرضية أو الخوف منهـــا أو التعلق بها عكس الذين يزعمون التحرير و هم قد انتقلوا من رق إلى رق ، و ارتبطوا بعجلة بدل عجلة أو صاروا تبعا لمعسكر بدلا من معسكر آخر ، بل يكون مرتبطاً بالله متعلقاً به وحده ، فيتم له من كفاية الله و تيسير أموره فى جميع الشؤون و نصره فى جميع الملمات ، مالا يتم لغيره ممن يسير على غير هذه الآية .

كما أن من ثمرات هذه الآية تسلية أهلها عند المصائب ، و تهوين الشدائد عليهم ، وكونهم لا ينتابهم جزع ولا هلع ، لأنهم منطبعون دائماً بوحى الله (أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه ـ ولا تهنوا ولا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ـ ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله ما لا يرجون) (إن يمسسكم قرح فقـــد مس القوم قرح مثله و تلك الأيام نداولها بين الناس) إلى غير ذلك مما يسلى القلوب و يقويها ؛ و يجعلها تستهين بالصعاب و لا تبالى بالنوائب ، بل تفتش عن ذنوبهـــا التى هى السبب فى حصولها لتعالج الشئ من جذوره ؛ فلا تثبت القلوب عند المزعجات و تطمئن عند المكروهات إلا بقوة الايمان ، ولا تقنع و تسلم من شرور الأنانية إلا بعدته ، و لا تصدق معاملة العبـــد مع الخالق و المخلوق إلا بسببه ، و لا يعصمه من انحلال الأخلاق المفضية إلى الهلاك إلا هو .

المسلمون أمام الواقع و التاريخ

سماحة الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوى
شيخ الحديث بمظاهر العلوم سهارنفور (سابقاً)

وهناك آيات كثيرة أخرى تتضمن معنى أن غاية الكفار والمشركين من حياتهم إنما هى الحياة الدنيا فحسب ، و أن منافع الدنيا وحدها تنال اهتمامهم وإعجابهم ، إنهم لايؤمنون بالآخرة . والذين يؤمنون منهم بالآخرة، لا يستوفون شروط الايمان بها ، و لذلك فان رضى الله ببعض أعمالهم الحسنة يجزيهم بها فى دنياهم ، سئل ابن عباس رضى الله عنه عن تفسير الآية « من كان يريد الحياة الدنيا» فقال إن الله تعالى يستوفى جزاء أعمالهم بصحة أبدانهم و إدخال السرور إلى أنفسهم بزيادة الأولاد و الأموال ، و إلى ذلك تشير الآية الواردة فى سورة بنى إسرائيل « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد » يعنى أن الله تعالى يعطى من يشاء ما يشاء .

و عن سعيد بن جبير رضى الله عنه « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم ، وهم فيها لا يبخسون » قال : يؤتون ثواب ما عملوا فى الدنيا ، و ليس لهم فى الآخرة من شئ » و عن قتادة رضى الله عنه (من كان يريد الدنيا و زينتها) يقول : من كانت الدنيا همه و سدمه ، و طلبته و نيته و حاجته ، جازاه الله بحسناته فى الدنيا ، ثم يفضى إلى الآخرة ليس له فيها حسنة ، و أما المؤمن فيجازى بحسناته فى

الدنيا ، ويثاب عليها فى الآخرة » و عن مجاهد رضى الله عنه (من كان يريد الحياة الدنيا) قال : من عمل للدنيا لا يريد به الله وفاه الله ذلك العمل فى الدنيا أجر ماعمل » وعن ميمون بن مهران رضى الله عنه قال : من كان يريد أن يعلم ما منزلته عند الله فلينظر فى عمله ، فانه قادم على عمله كائناً ما كان ، ولا عمل مؤمن ولا كافر من عمل صالح إلا جزاه الله به ، فأما المؤمن فيجزيه فى الدنيا و الآخرة بما شاء ، و أما الكافر فيجزيه فى الدنيا (الدر المنثور) .

و قد ورد فى تفسير الآية « فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره » عن محمد بن كعب ، قال: من يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابها فى الدنيا فى نفسه و أهله و ماله و ولده ، حتى يخرج من الدنيا و ليس عنده خير ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه و أهله و ماله و ولده ، حتى يخرج من الدنيا وليس عليه شئ » وعلى ذلك يقول النبى ﷺ : أمتى هذه مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة ، إنما عذابها فى الدنيا الفتن و الزلازل ، و القتل و البلايا . (كذا فى الجامع الصغير و رقم له بالصحة) .

كل هذه الروايات دالة على أن هذه الأمة تواخذ على خطاياها فى هذه الدنيا ، رحمة عليها و كفارة من ذنوبها ، فان لم تكن قد أصيبت بالبلايا على كثرة ذنوبها و آثامها لكان ذلك نذير خطر كبير بالنظر إلى معادها و مصيرها ، فالعلاج الوحيد لتوقى هذه الأمة المحمدية من المصائب والحوادث ، ومواجهة النكبات والخسائر إنما هو تركيز عنايتها بالاحتراس من المعاصى ، فاذا ماصدر منها شئ من الذنوب تندم عليه ، وتستغفر الله

منه و تتوب إليه ، أما أن ترتع فى مراتع الذنوب و المعاصى و ترجو السلامة من كل غضبة من الله فلا يكون ذلك و لن يكون .

و مادام المسلم يتظاهر بالاسلام ويرتكب المعاصى لا ينهض ولايعز ، ولكنه إذا انقلب كافراً وقطع صلته بالاسلام يستطيع أن يتدرج فى الدنيا إلى مدارج العز والرفاهية ، و ينال فيها جزاء كل الحسنات التى يقوم بها « فعن سليمان بن عامر رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله إن أبى كان يصل الرحم و يفى بالذمة و يكرم الضيف ، قال مات قبل الاسلام ؟ قال نعم ! قال لن ينفعه ذلك ، و لكنها تكون فى عقبه ، فلن تخزوا أبداً ، و لن تذلوا أبداً ، و لن تفتقروا أبداً » .

هذا الحديث يرد على سؤال أن الكافر بالرغم من سوء أعماله يعيش فى الدنيا فى بحبوحة من العيش و الراحة ، لأن والديه قد خلفا له ثمار أعمالهما الطيبة ، ولاشك فى أن هناك نصوصاً كثيرة من الكتاب والسنة تدل على أن مبدء التقدم والرفاهية ليس أمراً مشاعا بين الكافر و المسلم ، و قد يشاركان فى بعض الأمور ، أما مقياس التقدم للمسلمين فانما هو تنفيذ الدين كله فى الحياة ، و الاحتراس من المعاصى . فكلما كثرث المعاصى كثرت البلايا و النوازل ، و لا ينبغى أن نقيس حياتنا على حياة الكفار الذين لا يصابون بالبلايا رغم صدور السيئات و المنكرات منهم بل إنهم يتقدمون فى جميع مراحل الحياة كما لا ينبغى أن نأمن كل بلية و نازلة ، لأننا إذا فعلنا ذلك نكون قد نادينا المصائب ، أو استحققنا الاستدراج الذى لا تتأخر نقمته كما سبق أولا .

و لذلك فان ارتجاء المسلمين السعادة مع اقتراف السيئات و المعاصى

يرادف حرمانهم إياها ، كما أن النظر إلى الكفار واقتفاء خطاهم طمعاً فى فى المنافع و حرصاً على الرفاهية التى يتمتعون بها ليس ما يسمى بالوقاحة فقط بل إنه يمهد الطريق إلى الخيبة و الاخفاق .

كان من عادة الفرس و الروم فى الحروب أن الفريق الغالب كان يقطع أعناق رؤساء الفريق المغلوب و يحمل رؤسهم إلى الأمير و الحاكم تظاهراً بالفخر والغلبة ، فلما تحارب المسلمون مع الروم فى عهد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وانتصروا على أعدائهم فعلوا معهم مثل ماكانوا يفعلون ، وحملوا رأس أحد البطارقة الرومية مع عقبة بن عامر رضى الله عنه إلى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما بلغه أنكر ذلك أشد إنكار، فقال له عقبة بن عامر: إنهم يصنعون بنا، فقال أيستنون بفارس والروم؟ لايحمل إلى رأس ، إنما يكفى الكتاب والخبر » و لو أن الفقهاء أجازوا ذلك نظراً إلى بعض النصوص ولكن أبابكر الصديق رضى الله عنه لم يرض بذلك و كره الاستدلال بالفرس و الروم .

« عن طارق بن شهاب قال خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الشام و أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة ، و عمر على ناقة له فنزل عنها و خلع خفيه فوضعها على عاتقه و أخذ بزمام ناقته ، فخاض بها المخاضة، فقال أبوعبيدة : ياأمير المؤمنين أأنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك و تضعهما على عاتقتك فتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ، ما يسرنى أن أهل البلد استشرفوك، فقال عمر: أوه ، لويقل ذاغيرك أباعبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » الحقيقة أن العز الحقيقى هو مايمنحه

لله ، و من أكرمه الله بعزه لا يبالى بذلة الدنيا و أهلها .

و قد جاء فى الحديث ما معنـــاه ! إن من يطلب العزة فى الناس بمعصية الله ينقلب ما دحوه ذامين له » فلم يعد للمسلمين طريق نحو السعادة والتقدم والعزة ، ولم يبق لهم طريق لتحقيق غايتهم من الحياة إلا الحصول على رضا الله ، و العمل بمرضـــاته ، و من العجب العجاب أن ينطلق المسلمون إلى تقليد الكفار و المشركين والأكل من فتات موائدهم ليحققوا لهم بعض النفع تاركين كتاب الله وسنة رسوله اللذين يفيضان نوراً وهداية ويدعوانهم إلى كل خير و تقدم و سعادة .

أليس هذا وقاحـــة و مقاطعة لله و لرسوله ؟ إن مثلهم فى ذلك كمثل المريض الذى يعيش مع طبيب كبير يعتبر مرجع النـــاس و يقصده المرضى من كل مكان ، و لكنه لا يراجع الطبيب فى أمره بل يعتمد على طبيب آخر ضعيف لا يؤمه المرضى و لا يشفيهم بعلاجه .

« عن جابر رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال : يا رسول الله هذه نسخة من التوراة ، فسكت فجعل يقرأ ، فوجه رسول الله ﷺ يتغير فقـال أبوبكر ثكلت الثواكل ، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ فنظر عمر إلى وجـــه رسول الله ﷺ فقال أعوذ بالله من غضب الله و غضب رسوله ، رضينا بالله ربا و بالاسلام ديناً و بمحمد ﷺ نبياً ، فقال رسول الله ﷺ : والذى نفس محمد بيده لوبدا لكم موسى فاتبعتموه و تركتمونى لضللتم عن سواء السبيل ، و لو كان حياً و أدرك نبوتى لاتبعنى » .

لقد كان غضب النبى ﷺ حقاً ؛ لأن المسلم مالم يكن محيطاً بالكتاب

والسنة و ما فيهما من أحكام ونصوص لا يستطيع أن يستفيد من كتاب اختلط فيه الباطل مع الحق ، أما من كان عنده علم كاف بالدين و هو يميز الحق عن الباطل فلا بأس عليه أن يقرأ كتاباً ليس فيه حق محض لأنه لايكاد يضل الطريق السوى لماعنده علم من الكتاب والسنة، والتوراة عندما كان فيها من الأحكام ما نسخ و تناوله اليهود بالتحريف أبدى النبى ﷺ غضبه على قراءته خوفا من أن يلتبس الأمر و يؤدى إلى الضلال ، وقال ابن سيرين رضى الله عنه: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

و على ذلك تشدد العلماء والمشايخ النهى عن صحبة رجال لا تستقيم سيرتهم الدينية ، و عن استماع خطبهم وقراءة كتاباتهم ، لكى يتقى تأثيرهم السيئ ، وما جاء فى المثل « انظروا إلى ما قال ولا تنظروا إلى من قال » فهو صحيح ، يؤيد الذى جاء فى الحديث بألفاظ مختلفة « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » و لكن ذلك لا يتـــأتى ما لم يكن المرء يتمتع بالتمييز بين الحق والباطل ، ويكون ناضج العقل خبيراً بقواعد الدين حتى يستطيع أن يقول : هذا حق و هذا باطل هذا صواب وذاك معارض للكتاب و السنة .

و الواقع أن صلاح المسلمين ونجاحهم ليس إلا فى اتباع الدين كاملا واقتداء أسوة الرسول ﷺ وسيرة السلف الصالحين ، مهما شوه المشوهون صورة الاسلام ، ورماه الكفار والمشركون بالرهبنة والتعصب ، والتاريخ الاسلامى الناصع الذى لا غبار عليه البتة يشير إلى أن الاسلام هو الذى أنقذ العالم من حيرة الضلال والانهيار ، وأضفى عليه حياة جديدة ، وقداسة وطهراً ، وأن المسلمين هم الذين حاربوا التقاليد الباطلة والعادات الوحشية،

و أعادوا كل شئ إلى نصابه ، وملأوا العالم خيراً و عدلا و استقامة ومعرفة بالحقوق ، فلم يكن يوجد من يرتكب السيئات ، ويخالف القوانين الاسلامية العادلة ، حتى قالوا: لم يكن أحد يترك الصلاة إلا منافق ظاهر نفاقه ، و كلما حزبهم أمر أو مصيبة فزعوا إلى الصلاة .

يقول أبو الدرداء رضى الله عنه : إذا هبت ريح عاصفة فزع النبى ﷺ إلى الصلاة و دخل المسجد و لم يخرج ما لم تنته ، و قد تحدث عديد من الصحابة رضى الله عنهم بطرق مختلفة عادة الرسول ﷺ هذه ، وفزعه إلى الصلاة كلما حزبه أمر، كما روى أحد الصحابة عن النبى ﷺ أن الأنبياء السابقين كانوا يفعلون ذلك ، و كان الصحابة رضى الله عنهم يتبعون النبى عليه الصلاة والسلام فى ذلك أيضاً ، وقد كانت الصلاة تحتل عندهم محلا رفيعاً جداً ، حتى إن سهام الأعداء ما كانت تقطع صلاتهم ، و ما كانو يسمعون صوت الأذان إلا ويتركون تجارتهم و أعمالهم ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجه تعليمات عن الصلاة إلى عماله و ولاة أمور الحكم فى عهده ، وأخبرهم بأن الصلاة أهم شئ عندى فمن حافظ عليها حافظ على الدين كله ، و من أضاعها أضاع الدين كله .

وعندما بعث أبوبكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد إلى أهل الردة أمره بأن يقاتلهم على خمس خصال . فمن ترك واحدة من الخمس قاتله ، شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله ، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صيام شهر رمضان و حج البيت ، و لما بعث عتبة بن غزوان لقتال الفرس أوصاه بالتقوى فقال: اتق الله ما استطعت واحكم بالعدل ، وصل الصلاة لميقاتها و اكثر ذكر الله . (يتبع)

متى يكون الجهاد فرض كفاية؟
و متى يكون فرض عين ؟

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

متى يكون الجهاد فرض كفاية ؟

يعرف الفقهاء معنى فرض الكفاية بأنه الفرض الذى إن لم يقم به من الناس من يكفى لاقامته فى المجتمع الاسلامى أثم الناس المسلمون كلهم فى ذلك المجتمع ، وإن قام به من يكفى لاقامته سقط عن سائر الناس .

و يكون الجهاد فرض مع كفاية فى حالة مباداة قتال كل من يقف حجر عثرة فى سبيل نشر الاسلام فى العالم ، و كل من يحول دون سيادة الشرع الاسلامى الحنيف فى الأرض ، إذ الجهاد هو الدعوة إلى الاسلام والقتال فى سبيل الله . و سببه كما سبق و إن رأينا هو كون الذين نقاتلهم كفاراً امتنعوا عن قبول الدعوة الاسلامية . فمن الآيات التى فرضت القتال فى سبيل الله وجعلت سبب القتال هو الكفر قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » فأمر الله تعالى بقتالهم لوصف الكفر .

و قال تعالى : « و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » (من سورة البقرة الآية ١٩٣)

و قد وقف المفسرون والفقهاء عند هذه الآية لتوضيح مفهوم الجهاد مستمدين هذا التوضيح من الكتاب و السنة ، يقول (ابن كثير) فى

تفسيره لهذه الآية : إن الله سبحانه و تعالى أمر بقتال الكفار (حتى لا تكون فتنة) أى حتى لا يكون شرك ، وقاله أيضاً : ابن عباس وأبو العالية و مجاهد و الحسن و قتادة و الربيع و مقاتل بن حيان و السدى و زيد بن أسلم

و حين أمر الله سبحانه و تعالى بقتال هؤلاء الكفار والمشركين حتى لا يكون كفر أو إشراك (فتنة) فى الأرض فانه تعالى أمر بقتال هؤلاء لقصد ثان و هو أن « يكون الدين لله » من أجل أن يسود الاسلام العالم ، و تعم كلمته الأرض ، و يقول (ابن كثير) فى تفسير ذلك : أى حتى يكون دين الله هو الظاهر العالى على سائر الأديان كما ثبت فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى قال : سئل النبى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة و يقاتل حمية و يقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »

و ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها و حسابهم على الله » .

و أما قوله تعالى : « فان انتهوا » فالمعنى : فان انتهوا عما هم فيه من الشرك فأصبحوا مسلمين أو كفوا عن قتال المؤ منين أو محاولة تعذيب من آمن منهم أو صرفه عن دينه بالترغيب أو الترهيب أو دس الدسائس أو نحو ذلك ورضوا بسلطان الاسلام وخضعوا لدولته فلا يجوز قتالهم .

و من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم و لا عدوان إلا على الظالمين لقوله تعالى : « فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » و يقول ابن كثير فى

تفسيره : و المراد بالعدوان ههنا المعاقبة و المقاتلة كقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (من سورة البقرة الآية ١٩٤) وقوله تعالى : « و جزاء سيئة سيئة مثلها » (من سورة الشورى الآية : ٤٠) .

و قوله تعالى : « و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » .

و يؤيد تفسير هذه الآية الكريمة و معناها آيات الله تعالى العديدة و أحاديث الرسول ﷺ المستفيضة التى دعت إلى الجهاد و بينت غايته ومقصده السامى النبيل ، و يؤكده أيضاً عمل الرسول ﷺ و عمل خلفائه الذين تولوا الحكم و السلطان بعده .

ما يجب أن يسبق القتال الهجومى لتكون كلمة الله هى العليا :

حين أمر الاسلام بقتال الكفار والمشركين ممن كانوا خارج الدولة الاسلامية و ليس بينهم و بين المسلمين ميثاق و لا معاهدة لقوله تعالى : « و قاتلوهم » فانه أمر أن يسبق هذا القتال شروط ؛ و حرم على المسلمين قتالهم قبل استيفاء هذه الشروط جميعاً و هى :

١ - دعوة هؤلاء الأعداء للدخول فى دين الاسلام دعوة تعطيهم فكرة عامة و واضحة عن هذا الدين ، و عن حياتهم التى سيعيشونها فى ظله و تحت رايته فان هم استجابوا و صاروا مسلمين فلهم ما للمسلمين .

٢ - و إن لم يستجيبوا لدعوة الاسلام و الدخول فيه ، دعوا إلى إعطاء الجزية ، و هى ضريبة مالية تؤخذ من القادرين عليها كل حسب قدرته من الذين بلغوا الحلم من الرجال دون النساء ، مع ضمان حق القيام بعباداتهم ، و يجرى عليهم كل ما يتعلق بأحوالهم الخاصة من مطعومات

و مشروبات و من طلاق و زواج و ميراث (و هى ما يسمى اليوم بالأحوال الشخصية) حسب دينهم ، ولا يكرهون على الدخول فى الاسلام استجابة لأمر الله تعالى « لا إكراه فى الدين » (من سورة البقرة الآية ٢٥٦) وأما إذا أرادوا أن يتحاكموا إلينا فنحكم فيهم بحسب شريعة الله .

و لهم فى هذه الحالة من حقوق إقامة العدل و الانصاف و الرعاية كالمسلمين لقوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » (من سورة الممتحنة الآية : ٨) .

٣ - أما إذا لم يستجيبوا لهذه الدعوة أيضاً ، فأبوا الرضا بسلطان الاسلام وحكمه ، فان الله تعالى أمر بقتالهم قتالا اشترط فيه : ألا يتخلله غدر و لا إفناء و لا تدمير أو تخريب ، كما ليس فيه قتل لمن لا يقاتل من المدنيين ، و لا يد له فى تعويق نشر الاسلام و عرقلة سيادة الشرع، كالنساء و الأطفال والعجزة مع اطعام أسراهم وعدم تعذيبهم فكان القصد من هذا القتال « حتى لا تكون فتنة و يكون الدين لله » .

و روى الترمذى أن أحد جيوش المسلمين حاصر قصراً من قصور فارس ، وكان الأمير (سلمان الفارسى) فقالوا : يا أبا عبد الله : ألا ننهد (١) إليهم ، قال : دعونى أدعهم ، كما سمعت رسول الله ﷺ يدعو فأتاهم . فقال لهم : إنما أنا رجل منكم ، فارسى . و العرب يطيعوننى فان أسلمتم فلكم مثل الذى لنا ، و عليكم ما علينا . و أن أبيتم إلا دينكم :

(١) يأمر الجيش بالزحف عليهم .

تركناكم عليه ، و أعطونا الجزية عن يد و أنتم صاغرون .

قال : و رطن إليهم بالفارسية ، و أنتم غير محمودين (١) و إن أبيتم ، نابذناكم على سواء (٢) .

قالوا : ما نحن بالذى يعطى الجزية و لكنا نقاتلكم .

قالوا : (أى المسلمين) يا أبا عبد الله ، ألا ننهد إليهم ، قال فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا .

ثم قال : انهدوا إليهم ، قال : فنهدنا إليهم ففتحنا ذلك القصر .

قال أبو يوسف : لم يقاتل رسول الله ﷺ قوماً قط ، فيما بلغنا حتى يدعوهم إلى الله و رسوله .

و قال صاحب الأحكام السلطانية : و من لم تبلغهم دعوة الاسلام ، يحرم علينا الاقدام على قتالهم غرة ؛ و بياتاً بالقتل و التحريق ، و يحرم أن نبدأهم بالقتال قبل إظهار دعوة الاسلام لهم ، وإعلامهم من معجزات النبوة و من ساطع الحجة بما يقودهم إلى الاجابة .

و يرى السرخسى : أنه يحسن بأمير الجيش أن لا يقاتلهم فور الدعوة ، بل يتركهم يبيتون ليلة يتفكرون فيها ويتدبرون ما فيه مصلحتهم .

و يرى الفقهاء أن أمير الجيش إذا بدأ بالقتال قبل الانذار بالحجة والدعاء إلى إحد الأمور الثلاثة ، و قتل من الأعداء غرة و بياتاً ضمن ديات نفوسهم .

و ذكر (البلاذرى) فى (فتوح البلدان) :

(١) قال لهم هذه الكلمة بالفارسية .

(٢) أعلمناكم و قاتلناكم .

أن أهل سمرقند ، قالوا لعاملهم (سليمان بن أبى السرى) : إن قتيبة بن مسلم الباهلى ، غدر بنا و ظلمنا ، و أخذ بلادنا ، و قد أظهر الله العدل و الانصاف ، فأذن لنا ، فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكو ظلامتنا ، فان كان لنا حق أعطيناه ، فان بنا إلى ذلك حاجة ، فأذن لهم ، فوجهوا منهم قوما إلى (عمر بن عبد العزيز) رضى الله عنه ، فلما علم عمر ظلامتهم كتب إلى (سليمان) يقول له : إن أهل (سمرقند) قد شكوا ظلماً أصابهم ، و تحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابى ، فأجلس لهم القاضى ، فلينظر فى أمرهم ؛ فان قضى لهم ، فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر (١) عليهم (قتيبة)

فأجلس لهم (سليمان) القاضى (جميع بن حاضر) ، فقضى : أن يخرج مسلمو سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة .

فقال أهل السند : بل نرضى بما كان ولا نجد حرباً ، ولم ينازعوا بعد أن عجبوا من عدالة الاسلام والمسلمين و أكبروها ، وكان ذلك سبباً فى دخولهم الاسلام مختارين .

أخرج مسلم و الترمذى و أبو دؤد عن بريدة قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : « أغزوا بسم الله ، فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا و لا تغلوا ، و لا تغدروا ، و لا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ؛ وإذا لقيت عدوك من المشركين ،

(١) أى رجعتم إلى ما كنتم عليه قبل الغزو .

فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيهن ما أجابوك فاقبل منهم ، و كف عنهم ، ثم أدعهم إلى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل منهم ؛ وكف عنهم ، ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ؛ و أخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، و عليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، و لا يكون لهم فى الغنيمة و الفئ شئ ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم ، و كف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله ، و قاتلهم » .

فآيات الله تعالى العديدة و أحاديث رسوله ﷺ ، و عمله و عمل الخلفاء الذين جاءوا بعده ، بينت أن الغاية من الجهاد والقصد من الفتوحات الاسلامية هى : إعلاء كلمة الله فى الأرض ، و حمل الدعوة الاسلامية و رفع رأية التوحيد فى العالم خفاقة بالنصر المبين .

معنى فرض الكفاية فى الجهاد فى سبيل الله :

هذا هو الجهاد فى سبيل الله الذى هو فرض كفاية على المسلمين ، و إذا أتمه البعض وكانت بهم الكفاية لاتمامه سقط عن بقية الناس ، و إذا لم تقع بهم الكفاية أى قهر العدو وجب الجهاد على الأقرب ، فالأقرب ، فان لم تقع الكفاية إلا بجميع المسلمين فحينئذ صار الجهاد فرض عين على كل المسلمين جميعاً حتى يتم قهر العدو ، و إن تركه كل المسلمين أثموا جميعاً .

و يعرف (ابن قدامة) فى كتابه (المغنى) معنى الكفاية فى الجهاد

بقوله : « و معنى الكفاية فى الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون فى قتالهم ، إما أن يكونوا جنداً لهم دواوين من أجل ذلك ، أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم له تبرعا بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم ، و يكون فى الثغور من يدفع العدو عنها ، و يبعث فى كل سنة جيشاً يغيرون على العدو فى بلادهم » .

متى يكون الجهاد فرض عين ؟

إذا هاجم العدو بلداً من بلاد المسلمين أو احتل أرضاً من أراضيهم فان الجهاد يصبح فرض عين على كل من المسلمين القادرين على حمل السلاح و مقاتلة العدو ، و إن عجز أهل البلد عن طرد العدو من أرضهم يصبح الجهاد فرض عين على الأقرب فالأقرب من العدو ، و إن احتاج طرد العدو من بلد من بلاد المسلمين إلى تكتل المسلمين جميعاً صار الجهاد فرض عين على كل المسلمين و لا يسقط حتى يطرد العدو و تطهر أرض الاسلام من رجسه ، و بعدها يصبح الجهاد فرض كفاية إن نهض من المسلمين قوم يكون فى قتالهم .

و قد أفتى الفقهاء بأنه « إن غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام أو ناحية من نواحيها ، فيصبح الجهاد فرض عين ، فيجب على المرأة أن تخرج بلا إذن زوجها ، و أن يخرج العبد بلا إذن مولاه ، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه و الغريم بغير إذن دائنه » .

و محل كون الجهاد فرض كفاية إذا لم يستنفره حاكم المسلمين ، أما من استنفره حاكم المسلمين فان الجهاد أصبح فرض عين عليه لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله

إثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » (من سورة التوبة الآية ٣٨)

و لما أخرجه الجماعة إلا المؤطا عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح : « لا هجرة بعد الفتح و لكن جهاد و نية ، و إذا استنفرتم فانفروا » .

فالنفير يعم جميع الناس ممن كان من أهل القتال حين الحاجة إلى نفيرهم لمجئ العدو إليهم و لا يجوز لأحد التخلف إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان و الأهل و المال ، و من يمنعه الأمير من الخروج أو من لا قدرة له على الخروج و القتال .

و كذلك يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم مكلف إذا حضر صف القتال لقول الله سبحانه و تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا » (من سورة الأنفال الآية : ٤٥) .

ولقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنم وبئس المصير » (من سورة الأنفال الآيتان : ١٥ ، ١٦) .

وقد ذم الله تعالى الذين أرادوا الرجوع إلى منازلهم يوم الأحزاب فقال تعالى : « ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً » (من سورة الأحزاب : الآية ١٣) .

و لأنهم إذا جاء العدو صار الجهاد عليهم فرض عين ، فوجب على الجميع فلم يجز لأحد التخلف .

موقع الحديث من الدين

الأستاذ شبير أحمد
عضو مجمع الدراسات الشرعية - بندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر » .

الخطاب فى هذه الآية للمؤمنين عامة فتناولت كل مؤمن يوجد إلى يوم القيامة من غير تخصيص بزمان أو مكان ؛ أرشدهم الله تعالى فى هذه الآية إلى ما يقتضيه الايمان بالله و اليوم الآخر من طريق العمل و نظامه و دستوره ، و هو مشتمل على ثلاثة أجزاء .

(١) اطاعة الله تعالى (٢) إطاعة رسوله ﷺ (٣) إطاعة أولى الأمر من المؤمنين ، و الاطاعة عبارة عن الانقياد أى الامتثال بما أمر به المطاع ، و الانتهاء عن ما نهى عنه ، فهذه الاطاعات الثلاث واجبة مفروضة معاً على المؤمنين كافة بأمر الله تعالى إياهم بها .

ولابد لك أن تعلم ما بين هذه الثلاث من الفرق الأساسى ، وهو أن الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم » فكرر الأمر بالاطاعة وزاد لفظ « أطيعوا » فى اطاعة الرسول ولم يذكره فى إطاعة أولى الأمر ، و هذا إرشاد من الله تعالى إلى أن طاعة الله و طاعة رسوله ﷺ كلتيهما مستقلتان لا تندرج إحداهما تحت الأخرى ،

وليس للمؤمنين أن يتنازعوا فى شئ ثبت أنه من جنس طاعة الله أو من جنس طاعة رسوله ، وأما طاعة أولى الأمر فهى غير مستقلة شرعاً ولا تجوز إلا إذا تحققت تحت الاطاعتين السابقتين .

و من ثم يتصور النزاع فى أمر من أمور أولى الأمر ، و حينئذ يجب رده إلى أمر الله تعالى وأمر رسوله . وإذا وقفت على ما أوضحناه من معنى الآية فعليك أن تعلم كيفية هذه الاطاعات الثلاث ، فأما طاعة الله تعالى فهى إنما تتحقق بالانقياد التام لما فى القرآن من الأوامر و النواهى ، سواء أن تكون واضحة جلية فى نفسها غير محتاجة إلى التوضيح و بيان المراد بها أو أن تكون بجملة مبهمة معقودة المعنى بحيث لا تقف على المراد بها بمجرد آية القرآن و نظمه ، فالعمل بكلا هذين النوعين عمل بالقرآن و طاعة الله تعالى ؛ و إياك أن تغفل أن العمل بأحكام القرآن المجملة المبهمة لا يصلح إلا ببيان و إيضاح من رسول الله ﷺ ، فانه هو المفسر لمعانى القرآن و هو الشارح المبين لمجملاته لما ألزمه الله تعالى توضيح القرآن و تنبيهه للناس كما ألزمه تبليغه إليهم و تلاوته عليهم ، قال الله تعالى « و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » و وصف الله تعالى رسوله فى مواضع عديدة من القرآن بأنه بعث ليعلمهم كتاب الله كما أنه بعث ليتلوه عليهم (سورة البقر - سورة آل عمران - سورة الجمعة) فقال هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة » (سورة الجمعة) و المراد بتلاوة آيات الله إسماعها إياهم وتبليغها إليهم ، فما معنى تعليم الكتاب بعد ذلك ؟

فان قيل : إن معناه تلقين القرآن و تبليغه ، قلنا لا يصلح ذلك

لاستلزامه التكرار المحض ، فلابد أن تعليم الكتاب غير التلاوة و التبليغ ، و هو تعيين المراد بالأحكام المذكورة فى كتاب الله و إيضاح ما فيه من المجملات و المبهمات ، و تلقين طريق العمل بتلك الأحكام المنزلة فيـــه ؛ والحق الذى لا مرية فيه أن العمل بالقرآن لا يصح و لا يتصور بقطع النظر عن السنن التى سنها رسول الله ﷺ للعمل به ، و لو كان رسول الله ﷺ بعث لمجرد تبليغ القرآن بدون التعليم والتبيين لكانت بعثته عبثاً ، تعالى الله و رسوله عن ما يقول الظالمون علواً كبيراً .

و الحاصل أن طاعة الله تعالى عبارة عن العمل بمـا فى القرآن من الأحكام على ما بينه رسول الله ﷺ بقوله و عمله ، و أما طاعة الرسول فهى عبارة عن العمل بأقوال رسول الله ﷺ و أحكامه التى سكت عنها القرآن و لم يذكرها عبارة و لا إشارة ، و ذلك لأن أقواله وأحكامه على ثلاثة أقسام :

(١) فمنها ما هو مذكور بعينه فى القرآن (٢) و منها ما فيه بيان لمجمل القرآن أو تفسير لمبهمه أو تقييد لمطلقه ؛ فالعمل بهذين القسمين من أقوال النبى ﷺ عمل بالقرآن .

(٣) و منها ما لم يذكر فى القرآن عبارة و لا اشـارة ، و العمل بمثل هذه الأحكام هو المراد بطاعة الرسول .

فاطاعة الرسول غير إطاعة الله ، فان الأحكام التى يعمل بها اطاعة لله هى المذكورة فى القرآن عبارة أو إشارة سواء كانت جلية أو خفية ، واضحة أو مبهمة .

و الأحكام التى يعمل بها إطاعـــة للرسول ﷺ هى المذكورة فى

الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه ، وهذا التغاير بالنسبة إلى الظاهر أما بالنسبة إلى المرجع و المآل فلا تغاير ؛ فان طاعة الرسول ﷺ عين طاعة الله . لأن أحكام الرسول إنما هى أحكام الله . و كلا القسمين من الأحكام تلقتها الأمة من الرسول ، وكلاهما وحى منزل من الله تعالى عليه .

و الفرق بينهما أن القرآن الكريم وحى متلو ألفاظه و كلماته أيضاً من الله ، و أما الأحكام التى شرعها رسول الله ﷺ فهى مما ألقى الله معانيه فى روعه و عبر عنها النبى ﷺ بألفاظه وأداها إلى الأمة بعبارته ، فمن لم ير أحكام النبى ﷺ واجبة القبول مفروضة الاطاعة فقد أنكر حكم القرآن ، « أطيعوا الرسول » ومن أنكر شيئاً من القرآن فهو كافر قطعاً ، و قد تبين من ذلك أن انكار الأحاديث الصحيحة الثابتة والكفر بها يستلزم إنكار القرآن و الكفر به ، فان سمى منكر السنة نفسه صاحب القرآن العامل به ، فكالزنجى يسمى نفسه كافوراً .

و أما الاطاعة لأولى الأمر فهى واجبـــة على المؤمنين بشرطين : أحدهما أن لا يصادم ولا يباين حكمهم حكم الله ولا حكم رسوله ﷺ ، فالأمير إذا أمر بما نهى عنه الله تعالى أو رسوله ، أو نهى عما أمر به الله تعالى أو رسوله فالانقياد له فى ذلك الأمر أو النهى حرام لا يجوز ، فانما الطاعة فى المعروف لا فى المنكر و لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق جل مجده ، و هذا الشرط كما هو مصرح فى الحديث النبوى الصحيح ، فكذلك هو مستفاد من نظم هذه الآية نفسها « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم » فلم يقل « و أطيعوا أولى الأمر » كما قال « وأطيعوا الرسول » ، و لكنه عطف أولى الأمر على

الرسول فقال « و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم ، فأشار بحذف الفعل و العطف إلى أن الاطاعة لأولى الأمر ليست فى الوجوب بمستقلة بنفسها ، كما أن الاطاعة للرسول مستقلة بنفسها ؛ و أن الاطاعة لأولى الأمر تحت الاطاعة لله تعالى و تحت الاطاعة للرسول ، فيجب أن تتحقق تحتهما و لا يجوز أن تتحقق منحرفة أو مستغنية عنهما ، فان أولى الأمر ليسوا بمطاعين بالذات ، و إنما المطاع بالذات إنما هو الله تعالى و رسوله ﷺ .

و لا يذهب عنك الفرق بين العبادة و الاطاعة ، العبادة لا تجوز لغير الله كائنا من كان ، فالرسول ﷺ مطاع و ليس بمعبود ، و اطاعته واجبة على كل مكلف ، أما عبادته فحرام قطعاً و إنما أوجب الله تعالى على المسلمين أن يطيعوا أولى أمرهم لأن أولى الأمر هم المنفذون لأحكام الله و أحكام رسوله ، المقيمون لحدود الله على عبادته .

و الشرط الثانى أن أولى الأمر الذين أوجب الله تعالى اطاعتهم على المؤمنين لابد و أن يكونوا من زمرة المؤمنين اعتقاداً و عملا ، فان ذالأمر الذى لا يكون مؤمناً ليست اطاعته بمطلوبة من الله شرعا، ولهذا قيد الله تعالى فى هذه الآية بكلمة «منكم» فاشترط أن يكونوا من المؤمنين .

ولما كانت الاطاعة لأولى الأمر واجبة تبعاً لا اصالة فنى أحكامهم و وجوبهالزومها على المؤمنين تفصيل :

(ألف) إن حكم الأمير بما حكم الله أو رسوله ، مثلا أمر باقامة الصلوات الخمس و حرم متعة النساء و نهى عن أكل ذى ناب من السباع و ذى مخلب من الطيور ، فذلك الحكم واجب القبول مفروض الطاعة ،

و المطيع لمثل هذا الحكم إنما أطاع الله و رسوله ﷺ ،

(ب) أمر الأمير بأمر مستنبط من الأصول التى وقع التصريح بها فى كلام الله تعالى أو فى كلام رسوله ﷺ ، فمثل هـذا الحكم أيضاً واجب القبول و الطاعة .

(ج) أمر سكت عنه القرآن و السنة نفياً و إثباتاً فهو أيضاً واجب القبول و الطاعة كيلا يقع التفرق و التشتت بين الأمة . و هذه الأمور هى ما يسمى « مباحات » فى عرف الفقهاء . وللامير أن يوجب أمراً مباحاً وأن ينهى عنه و يحرمه حسبما أدى إليه نظره ، وعلى المؤمنين أن يطيعوه فى ذلك ما لم ينسخ .

(د) أمر يخالف أمر الله أو أمر رسوله ، فلا يجوز الانقياد فيه و تحرم اطاعته .

(ه) و أمر له وجهان و وقع فيه الاختلاف و النزاع بين أهل العلم والنظر ، فمنهم من يصوبه ومنهم من ينكره ، فحينئذ يجب رده إلى الله و رسوله أى إلى كتاب الله و سنة رسوله فان ثبتت مخالفة الكتاب أو السنة وجب على الأمة رده و الاباء عن قبوله و وجب على الأمير الرجوع عنه ، و إن لم يثبت أنه مخالف للكتاب أو السنة الثابتة وجب قبوله ، فالحكم والفصل فى هذا النزاع والاختلاف لله ورسوله أى للقرآن و السنة النبوية الثابتة كما قال الله تعالى :

« فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول » .

و اتضح من هذا البيان أن وقوع التعارض ممكن بين حكم الأمير و حكم الله و رسوله ، و لكنه مستحيل متعذر بين حكم الله وحكم رسوله .

الصحافة المصرية في مختلف أدوارها

الأستاذ أبو بكر الحسنى

أستاذ الدراسات العربية بجامعة نهرو دهلى (الهند)

« ألقى هذا المقال فى ندوة ثقافية عقدها النادى العربى بدار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ الهند فى ٢٠ - ٢١ صفر ١٣٩١ هـ ، ننشره نظراً إلى قيمته التاريخية العلمية ، ولما يتضمن عليه من رأى حصيف مخلص فى الاتجاه الصحفى العربى المعاصر الذى غزا جانباً مهما من العالم العربى »

لكل زمان مضى آية و آية هذا الزمان الصحف

و المثل السائر يقول : إذا صلح القلب ، صلح الجسد كله ، و إذا فسد القلب ، فسد الجسد كله ، فاذا وضعنا الصحافة فى موضع القلب ، و المجتمع فى موضع الجسد ، قلنا دون أى تردد : إذا صلحت الصحافة ، صلح المجتمع كلـه ، و إذا فسدت الصحافة ، فسد المجتمع كله ، هـذا ما شاهدناه فى صحافة العالم كله دون أى استثناء ، شاهدنا هذه الحقيقة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى ، وجمهورية الصين الشعبية و بريطانيا و فرنسا ، و اليابان و غيرها من الدول الأخرى فى الغرب أو الشرق على السواء .

ماهى الصحافة : ولكن ماهى الصحافة بالضبط ؟ إن لها مفاهيم

عديدة ، فلا يمكن لنا أن نجددها و نحصرها فى مفهوم واحد : إنما هى مهنة بمفهومها المادى ، تعنى صناعة نشر الصحف الدورية المطبوعة والكتابة فيها كسائر الصناعات .

أما المفهوم الاصلاحى ، فان الصحافة تعنى فن تسجيل الوقائع اليومية بدقة و انتظام و ذوق سليم ، و قد عرف الدكتور محمود عزمى الصحافة بقوله : « إنها وظيفة اجتماعية ، مهمتها توجيه الرأى العام عن طريق نشر المعلومات و الأفكار الخيرة الناضجة » .

و يقول ويكهام ستيد عميد الصحافة الانكليزية : « ليست الصحافة حرفة كسائر الحرف ، بل هى أكثر مهنة ، و هى ليست صناعة ، . . وهى شئ بين الفن و العبادة » .

و هناك المفهوم العام للصحافـة : فيمكن القول : إن الصحافة هى عين الشعب على الحاكمين ، ويقول الرئيس الأمريكى جيفرسون : « الصحافة هى خير أداة لتنوير عقل الانسان ، ولتقدمه ككائن عاقل أخلاقى واجتماعى » و مهما يكن من تعريف فان الصحافة سلاح رهيب ، و طاقة جبارة فى سبيل تحقيق الغاية التى تصبو إليها ، و هى تشتمل على الأخبار ، و الشرح و التفسير و التعقيب ، و الارشاد و التنوير و التوجيه و تلبيـة رغبات الجمهور و حاجاته و التسلية : و يقول الزيات : « الصحف مدارس متجولة فى البلدان ، ليست محصورة بين جدران ، و لا يختص بهـا مكان دون مكان ، و هى أوسع دائرة للارشاد من كل دوائر التعليم ، تهذب عقول العامة و ترتب أفكار الخاصة . و تنهض الهمم القاعدة ، و تصلح الألسنة الفاسدة ؛ و تقرب الأمم المتباعدة ، و هى سجل الأخبار و وعاء التاريخ ،

و تقويم الزمن » .

أما مهمة الصحفى ، فانها صعبة و شاقة ، لأن الصحفى يحتل بحكم مركزه القيادة و التوجيه بالنسبة للرأى العام ، ولذلك وجب عليه أن يكون واسع الثقافة ، على جانب كبير من اللباقة و الذكاء و معرفة نفسية الجمهور ، و بجانب هذا كله ، ينبغى أن يكون فنانا موهوبا يعرف كيف يخاطب الجمهور ، و بأسلوب سهل مشوق ، فيقول أميل زيدان فى مجلة الهلال : « و فى مقدمة ما يطلب من الصحافى أن يعرف نفسية الجمهور ، و ليس هذا بالأمر الهين ، فالسؤال الذى يجب أن يتساءله المحرر كل صباح وكل مساء هو : ما الذى يستحسنه الجمهور ، وما السبيل إلى اجتذابه و استمالته » على أى حال ، فاذا أمعنا فى تاريخ الصحافة العربية ، وجدنا بذورها حتى فى عهد ما قبل الاسلام ، و لكننا لا نريد أن نذهب إلى ذلك الحد ، فانه ليس فى نطاق هذا الموضوع ، مع ذلك فاننا نود أن ندرس ، بأى حال من الأحوال بعض العوامل التى أدت إلى مولد الصحافة العربية أو النهضة الحديثة على حد تعبير بعض المؤرخين .

إن أحداث أواخر القرن الثامن عشر و مطلع القرن التاسع عشر قد هزت العالم العربى هزاً كبيراً ؛ و أيقظته من سباته العميق ، ومن أهم هذه الأحداث ، الحملة الفرنسية التى قادها الجنرال بونا بارت إلى مصر ، و يرى كثيرون أن الحملة الفرنسية هذه قد حملت المطبعة العربية إلى مصر مما أدى إلى تأثير كبير على حياة العرب الثقافية ، فان العالم العربى من حيث المجموع كان يعيش قبل الحملة الفرنسية فى شبه انقطاع تام عن بلاد الغرب ، و لم تكن تربطه بها أية صلة ، وكان التأخر قد بلغ أقصى

الحدود وعم الجهل ، وساد التنازع بين الولاة و عمال الأقاليم فلما جاءت الحملة الفرنسية ، بدأ العرب يفكرون فى مستقبلهم ويعملون لتحقيق أمانيهم ، فلم يكن لمصر عهد بالطباعة قبل الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ ، فلما جاء الجنرال بونابارت إلى مصر ، جاء بمطبعة مزودة بأحرف لاتينية و يونانية و عربية لطبع ما يحتاج إليه الفاتحون من بيانات ، لابلاغ أوامرهم إلى المصريين .

ولما جلا الفرنسيون عن مصر ، توقفت فيها الطباعة حتى إذا كانت سنة ١٨٢١ بدا لمحمد على الكبير والى مصر أن ينشئ مطبعة لتلبية الحاجات الحكومية وإرضاء رغباته فى نشر العلم والمعرفة فاشترى مخلفات مطبعة يوحنا يوسف مرسال أحد المستشرقين الفرنسيين ، و أنشأ فى ذلك العام « المطبعة الأهلية » أو مطبعة بولاق الشهيرة .

فالواقع أن فن الصحافة قد ترعرع فى أحضان الحضارة الغربية ، وكان الغربيون هم الذين ابتدعوه و حسنوه و جاؤا به إلى الشرق .

إن أول صحيفة عربية ، إذا صح التعبير ، قد أصدرها نابليون فى مصر عام ١٨٠٠ وكانت «الوقائع المصرية» ثانى صحيفة عربية قد صدرت عام ١٨٢٨ ، و قبل أن نذكر سلسلة أخرى من الصحف العربية نؤد أن نذكركم أن أهداف الصحافة قد تغيرت فى مختلف الأدوار .

فاذا عم دور الاستبداد ، حمل العرب قلمهم ضد المستبد، ضد الحكم الأجنبى ، ضد الطغيان و الفساد و الظلم و الكبت و الاضطهاد ؛ و إذا أقلقتهم الأحوال المدينة ، و منها الجهل و الفقر و المرض ، قاموا بقلمهم لمعالجة هذه الأمراض الاجتماعية ، و إذا ظلم الاقطاعيون و الرأسماليون

و أصحاب المصانع و كبار التجـار حاربهم رجال القلم و كافحوا لاصلاح المفاسد و إنقاذ المظلومين ، و على هذا النمط تطورت الصحافـة فى مصر و غيرها من البلاد العربية الأخرى .

دور النشأة : إن الصحافة فى مصر كانت فى دور النشأة ، صحافة رسمية ، إذ أن الصحف كانت تصدر فى عهد محمد على وعهد اسماعيل تحت الرقابة الحكومية الشديدة ، و من أهمها : جورنال الخديو (٢) الوقائع المصرية (٣) الجريدة العسكرية (محمد على) .

(١) صحيفة روضة المدارس (٢) ومجلة يعسوب الطب (اسماعيل)

ثم ظهرت فى عهد اسماعيل صحف أهلية ، و منها : (١) صحيفـة وادى النيل (٢) صحيفة نزهة الأفكار (٣) صحيفة روضة الأخبار ، وقد صدرت هذه الصحف من سنة ١٨٢٨ إلى سنة ١٨٧٦ .

و أول صحيفة عربية أصدرها اللبنانيون فى مصر ، جريدة السلطنة ، و جريدة الكوكب الشرقى التى أسسها فى الاسكندرية سليم الحموى عام ١٨٧٣ ، و كانت هذه الجريدة أسبوعية سياسية أدبية ، ثم أصدر صاحب هذه الجريدة بعد ثلاث سنوات من إصدارها الجريدة « شعاع الكواكب » ، وكانت هذه الجريدة تجارية أدبية يومية .

و قد أصدر الشقيقان اللبنانيان سليم و بشارة تقلا جريدة « الاهرام » فى الاسكندرية عام ١٨٧٦ ، ثم نقلت هذه الجريدة من الاسكندرية إلى القاهرة عام ١٨٩٨ ، و هذه الجريدة هى التى بقيت إلى هذا اليوم بجميع ميزاتها و خصائصها ، و صدرت فى عام ١٨٧٧ جريدة « حقيقة الأخبار » لأنيس اللبنانى و جريدة « مصر » لأديب اسحاق . « و التجـارة » فى

الاسكندرية لسليم نقاسى و أديب اسحاق .

و قد أسس جمال الدين الأفغانى و محمد عبده فى باريس « العروة الوثقى » فى عام ١٨٨٤ ، و ظهرت أول صحيفة قبطية «الوطن» فى القاهرة فى سنة ١٨٧٧ تلتها « مصر » جريدة قبطية أخرى عام ١٨٩٥ .

و أصدر سليم النقاسى و أديب اسحاق صحيفة « المحروسة » فى عام ١٨٨٠ فى الاسكندرية ، وصدرت جريدة « المقطم » عام ١٨٨٩ ، اشترك فى تأسيسها يعقوب صروف و فارس نمر و شاهين مكاريوس ، كذلك أصدر الشيخ على يوسف و الشيخ أحمد ماضى جريدة « المؤيد » .

و أصدر جرجى زيدان ، لبنانى آخر فى سنة ١٨٩٢ مجلة « الهلال» التى لا زالت صادرة إلى يومنا هذا ، و صدرت «لسان العرب» اليومية لأصحابها اللبنانيين نجيب و أمين الحداد و عبده بدران فى الاسكندرية .

و بالاضافة إلى ذلك ، فان المجلات جعلت تصدر من حين لآخر حتى بلغ عدداً كبيراً ؛

و منهـا : مصباح الشرق ، المجلة المصرية ، الزهور ، البيان ، و مجلة الفتـاة ، (للسيدة هند نوفل) و فتاة الشرق (للسيدة لبيبة هاشم) .

الصحف و المجلات أيام ثورة ١٩١٩ :

و قد صدرت أيام ثورة ١٩١٩ صحف عديدة : منهـا « البلاغ » أصدرها عبد القادر حمزة سنة ١٩٢٢ ، « و كوكب الشرق» التى أصدرها أحمد حافظ عوض سنة ١٩٢٤ ، و اشترك فى تحريرها طه حسين وأحمد ماهر ، وصدرت صحيفة «السياسية» تحت اشراف الدكتور حسين هيكل ،

تلميذ أحمد لطفى السيد محرر «الجريدة» ، كذلك ظهرت « اللواء المصرى » « و الأخبار » و « الشورى» و « المصور » .

و فى عام ١٩٣٣ أصدر الشيخ طنطاوى جوهرى جريدة «الاخوان المسلمين ، وكانت هذه أسبوعية ، ثم انتقل امتيازها إلى الشيخ حسن البنا و تحولت إلى صحيفة يومية اهتمت اهتماما كبيراً بالشؤن الدينية ، و أصدر رجال الاخوان «النذير» صحيفة أسبوعية أخرى فى عام ١٩٣٨و «مجلة الأزهر» الشهيرة التى تصدر تحت اشراف جامعة الأزهر ، و أصدر أحمد حسن الزيات مجلة «الرسالة» الأسبوعية فى عام ١٩٣٣ ، ومجلة «الثقافة» التى صدرت عن لجنة التأليف و الترجمة و النشر و كان يرأس تحريرها أحمد أمين .

إن الحرب العالمية الثانية قد غيرت خريطة العالم ، فتغيرت بها سياسة البلدان ؛ و انتشر النفوذ و السلطة عن طريق آخر . فأثرت هذه الحرب على سياسة الصحف فى كل مكان و ظهرت صحف عديدة باشكال مختلفة فى مصر أيضاً ، فصدرت مثلا «أخبار اليوم» تحت اشراف مصطفى أمين و على أمين و صدرت « صوت الأمة » صحيفة سياسية يومية عام ١٩٤٦ و «الجمهورية» « والنداء» و « بلادى » و « الأساس » و « الزمان » و «مصر الفتاة» و « اللواء الجديد» و «المنار» « ونور الاسلام» « والبعث» للدكتور محمد مندور « والشهاب » مجلة شهرية أصدرها الشيخ حسن البنا والتى عاشت من عام ١٩٤٧ إلى ١٩٤٩ ؛ و « آخر لحظة » « و الشعب الجديد » « و الدعوة» (صالح عشماوى من الاخوان) و « روز اليوسف » و غيرها من الصحف و المجلات الأخرى .

الواقع أن عدد الصحف اليومية و المجلات الأسبوعية و المجلات الدينية والصحف التى صدرت مرتين فى الأسبوع قد بلغ خلال الأربعينات أكثر من مأة و خمسين جريدة .

و هنا نقف و نتسأل : هل أدت الصحافة المصرية رسالتها . وهل حققت أهدافها وهل لعبت الصحف دورها فى تحقيق أمانيها المنشودة ، و هل أدت واجبها نحو الشعب و البلاد ؟

صحيح أنه ليس هناك وجود لحرية الصحافة فى أى بلد من البلاد بالمعنى الصحيح إلا إذا كان البلد بلداً ديمقراطياً و الشعب شعباً ديمقراطياً مع ذلك ، فانه من الممكن أن تؤدى الصحافة واجبها رغم جميع القيود فان الصحافة هى التى تكيف أعمال الشعب ، و تؤثر على حياته كيف تشاء فاننا قد لاحظنا فى مصر فى ما قبل الحرب العالمية الأولى و فيما بعدها ؛ أن الصحافة قد لعبت دوراً بارزاً فى تصقيل العقول و تنوير الأذهان وبث الروح المعنوية وتثقيف الجمهور و رفع سمعة البلاد ، و السبب فى معظم الأحيان يرجع إلى أصحاب الصحف المثقفين . والكتاب البارزين والمحررين المحنكين فاذا نظرنا إلى الوراء وجدنا الطهطاوى ، وجمال الدين الأفغانى ، و محمد عبده و أديب اسحاق ، و ابراهيم المويلحى ، و عثمان جلال وسليم وبشارة تقلا و عبد الله النديم ، و يعقوب بن صنوع ، و مصطفى كامل ، و أحمد لطفى السيد و أمين الرافعى ، و عبد القادر حمزه ، و جورجى زيدان ، و عبد الرحمن البرقوقى ، و أحمد حافظ عوض ، وطه حسين ، و محمد حسين هيكل ، و توفيق دياب . و فكرى اباظة و الشيخ طنطاوى

جوهرى ، والشيخ حسن البنا ، وأحمد حسن الزيات ؛ وأحمد أمين والعقاد و مصطفى صادق الرافعى ، وغيرهم من أصحاب القلم و الفكر .

إنهم كانوا مثقفين ثقافة دينية و أدبية ، ولهم خبرة تامة فى ميادين السياسة و الاقتصاد و الاجتماع ، هؤلاء الرجال قد جاهدوا بقلمهم فى سبيل الحرية و الاستقلال و إزالة الفساد ، و إصلاح الأحوال ، و إزالة الفقر و محو الأمية ، وتصفية الاستعمار فكتبوا المقالات الأدبية والسياسية و الاجتماعية و الدينية بغية أن يثقف الجمهور ، و تتنور أذهانهم ، وتصلح أفكارهم ، فكانت الصحف مليئة بالأخبار الصحيحة ، و المعلومات الدينية ، و النكات الأدبية ، والبحوث العلمية و اللغوية والحكايات الأخلاقية والمعانى الرفيعة ، و الطرائف النادرة و ما إلى ذلك ، و لكن الصحف والمجلات التى تصدر فى مصر اليوم ، لا نبالغ فيه إذا قلنا : إنها صحف « عربية غربية » ملئية بالصور العارية ، والاعلانات الأفلامية والمسرحية والمقالات التافهة غير الأخلاقية ، والتضحيكات الدنيئة ، والعبارات الركيكة والفقرات السخيفة و الدعاوى الباطلة و المواعيد الكاذبة .

و هذا القول لا يحتاج إلى دليل ؛ فاذا شك أحد فى هذا الأمر الواقع ، عليه أن يفحص أوراق أية جريدة أو مجلة مصرية اليوم ، و يلاحظ بعينيه ما تحتوى عليه الصحف المصرية اليومية أو المجلات الأسبوعية — كانت هى الأهرام أو الأخبار أو آخر ساعة أو المصور أو الطليعة أو روز اليوسف — من خرافات و استهتارات ، و صور النساء العاريات ؛ و حكايات غرامية ، و أخبار تافهة ، و انتقادات

سخيفة ، وكاريكتوتارات وقحة ، ويعود سبب كل ذلك إلى تقليد الصحفيين الجامد ، و اتباعهم الغرب المحتضر ، إنهم قد فقدوا ثقة بأنفسهم ، و تركوا تراثهم المجيد إلى الوراء ، و نسوا تقاليد بلادهم الاسلامية والمتنورة ، و أصبحوا تلاميذ الغربيين فى ثقافتهم و حضارتهم ومدنيتهم ، وانحطت الصحافة إلى أسفل الدرجات ، فلم تستطع التمييز بين خير وشر ، و بين ضار و نافع .

فاذا تمكن الأوائل من تصفية الاستعمار الفرنسى و القضاء على الاستعمار البريطانى ، فلم يتمكن الأواخر من الانتصار ، حتى على دويلة إسرائيل .

مراجع المقال :

فن الصحافة فى مصر	عبد اللطيف حمزة
تاريخ الصحافة العربية	أديب مروه
تاريخ الأدب العربى	أحمد حسن الزيات

إقتصادنا في ضوء الإسلام

بقلم

الناحية الاقتصادية للاشتراكية

بقلم الأستاذ المرحوم مسعود الندوى ★ تعريب : صهيب حسن السافى

إن أساس الاشتراكية هو الخبز و البطن إلا أننا أخرنا الحديث عن هذا الموضوع لما نعتقده من شمول الاشتراكية لفلسفة كاملة و دستور شامل للحياة كلها و هذا ما جعلنا نتحدث أولا عن مبادئها و فلسفتها قبل الخوض فى الكلام حول وجهتها الاقتصادية .

القدر الاضافى :

إن نظرية القدر الاضافى (Surplus Value) تحتل مكانة مرموقة بين تعاليم ماركس الاقتصادية و تعنى بالاختصار بأن العمل (Labour) هو الذى ينتج القدر أو القيمة ، و تسمى هذه النظرية بنظرية العمل للقدر (The Labour Theory of Value) .

و لم يكن ماركس هو أول من نادى بها بل سبقها « آدم سمث » و « ريكاردو » فقد رأيا بأن العمل هو المنتج و الميزان الأصلى لقيمة الصرف للبضائع ، إلا أن « آدم سمث » أقر باثبات قيم الأشياء حسب قلتها فى السوق و طلبها أحياناً

وقد استعار ماركس نظريته هذه من « ريكاردو » إلا أنه لم يوجه نداءه إلى العقل بل وجهه إلى العاطفة الموجودة لدى العامل — عاطفة الاحتقار و النفور تجاه الرأسماليين — وقد أراد ماركس إثبات كون العمل هو المنتج للقدر ، و زين للعمال و الفقراء — خلافا لما يقره العمل — بأنهم قد ظلموا و حرموا أجرتهم الكاملة التى إغتصبها الرأسماليون ، فكأن

هذه النظرية تمهد للميثاق الاشتراكى طريقه إلى الثورة و العدوان .

و طبقاً لما جرى عليه الاقتصاديون الآخرون يفرق ماركس بين قدر الفائدة (Use Value) و قدر الصرف (Exchange Value) فالشئ الذى يخدم مصلحة من مصالح الانسان يحمل قدر الفائدة و إن لم يكن له قدر الصرف فى السوق ، مثل الهواء فله قدر الفائدة دون قدر الصرف ، بينما كل شئ يحمل قدر الصرف لابد أن يكون له قدر الفائدة أيضاً ، و إذاً ما هو قدر الصرف لشئ من الأشياء ؟ ؟

يقول ماركس بأن جميع الأشياء — إذا فصل عنها قدر الفائدة — تشترك فى كونها إحدى منتجات العمل و إن كان العمل بنفسه يختلف باختلاف نوعه فعمل النسج غير عمل الحلج ، إلا أن الجامع لجميع هذه الأنواع هو العمل بنفسه ، و قد تزداد قيمة شيئ حسب زيادة ما صرف فى إنتاجها من عمل و جهد ، و عند ما أستشكل على ماركس — بناء على هذه النظرية — افتراض كون الشئ ذا قيمة عالية فيما لو صنعه عامل متكاسل حيث يأخذ هو فى عمله من الوقت أكثر ما يأخذه صاحبه النشيط فى عمله ، وضع اصطلاحاً آخر يسمى بالعمل اللازم اجتماعياً (Socially - Necessary Labour) و يعنى به ذلك العمل الذى يلزم لانتاج شئ من الأشياء بمهارة متوسطة فى عامة الأحوال ، إلا أنه لا يخلو من إشكال ، و هو من أين لنا هذا الميزان لمعرفة العمل اللازم اجتماعياً ؟ و كيف يقدر الفرق بين عمل عامل ما هر و آخر متعلم غير مجرب ؟ ؟

و كذلك من الصعب معرفة مقدار وحدات (Units) العمل

لعامل غير مجرب إذا قيست بالنسبة إلى وحدات عامل مجرب بغير الاستناد إلى كل من سعر الأجرة (Wage) و القيمة (Price) فى السوق .

حاول ماركس أن يجيب على مثل هذه الأسئلة إلا أنها لا تخلو من تعقد و غموض .

من الممكن أن توجه نظرية ماركس و ريكاردو هذه ، توجيها حسناً إذا أدخل عليها بعض التصليحات من مثل اخراجها عن حيز العمل البدنى إلى أن يشمل العمل الذهنى أيضاً و اعتبار القلة (Scarcity) و الطلب (Demand) زيادة على ما ذكره ماركس من اعتبار العمل فحسب لتقدير قدر الصرف لشئ من الأشياء ، إلا أن ماركس أصر على نظريته المذكورة آنفاً حيث لم يكن قصده ليحلل العوامل التى تساعد فى انتاج القدر تحليلا علمياً بل إنما كان يهدف إلى اثارة طبقة العمال ضد الرأسماليين لكونهم مضطهدين مظلومين و قد أفادته نظريته هذه لتحقيق الغرض المذكور .

و قد يوحى بعض عبارات ماركس إلى بعض التوسع ، و لكن الاشتراكيين بأجمعهم أصروا على نظريته المذكورة حرفياً لكشفه النقاب عن مظالم الرأسماليين و بؤس الطبقة الكادحة

و يقول الاشتراكيون — بصدد الايضاح عن الظلم الواقع على الطبقة الكادحة — بأن العمل فى ظل النظام الرأسمالى السائد مسكين محتقر لا يملك آلات الانتاج و ليس له سيطرة على وسائل الثروة و لا يستطيع أن يستوفى أجره من يد الرأسماليين لأجل فقره وبؤسه و إن كان جهده هو السبب للقدر الحاصل للمنتجات إلا إنه مضطر إلى بيع عمله للرأسمالى

ليسد جوعه و جوع أطفاله .

و إذا كان من الممكن للرأسمالى أن يحتكر بضائعه إلى أن تقوم السوق فلا يمكن الأجير أن يصبر إنتظاراً للحصول على أجرة تناسب عمله لعدة أسباب منها حاجته الملحة إلى سد رمقه حتى يبقى على قيد الحياة و منها ضياع الفرص المناسبة للعمل فيما لو لم يذعن للاجرة التى يقدمها له الرأسمالى فى حين يوجد مئات من العمال العاطلين عن العمل المنتظرين لأى فرصة تواتيهم للعمل و لو بأزهد الأجور .

و لهذا أو ذاك يضطر العامل إلى بيع عمله بما يقدم إليه من أجرة سواء قلت أو كثرت ، مناسبة كانت لعمله الممتد إلى عشر ساعات أو لم تكن مناسبة .

اتضح مما سبق أن العمل (١) - عند ماركس - هو المنتج لقدر شئ من الأشياء و لكن القدر الاجتماعى الصحيح (True Social Value) لأى شئ يقدر بضم قدر الصرف الناتج عن عمل العامل إلى قيمة المواد الخامة فاذا لم يكن للرأسمالى يد فى التكثير من قدر شئ من الأشياء أصبح الفرق بين قدر الصرف الصحيح لهذا الشئ وبين قيمته فى السوق (Selling Price) هو القدر الاضافى الذى اغتصبه الرأسمالى من حق الأجير المسكين ، و لكى نجعل الموضوع أكثر ايضاحاً نقول بأن أجيراً - على سبيل الافتراض - يعمل لثمانى ساعات بأجرة روبية واحدة يومياً لا يتسلم فى حقيقة الأمر إلا أجرة ساعة أو ساعتين لأن الروبية الواحدة أقل من أن يكون أجرة ثمانى ساعات فكأن الأجير يكد ويجتهد

(١) والمراد بالعمل هو الجهد الذى صرف فى انتاج هذا الشئ .

ست ساعات أو أكثر بدون أى تعويض بينما ينتفع الرأسمالى بهذا العمل الاضافى و قد سماه ماركس بالقدر الاضافى ، كما مر سابقاً ، و قد أمكن الرأسمالى الانتفاع به لأجل سيطرته الكاملة على جميع الوسائل التى تنمى الثروة .

توزيع الثروة بالتساوى :

بالاضافة إلى ما شرحنا آنفاً من نظرية القدر الاضافى بدقائقها و تفاصيلها تنحصر الاشتراكية الاقتصادية فى شيئين أساسيين و هما .

١- توزيع الثروة بالتساوى .

٢- ابطال الملكية الشخصية .

و غاية الشيوعية من توزيع الثروة بالتساوى هى تلاشى الطبقات المختلفة فى المجتمع بحيث تظهر فى الوجود مجتمع مثالى يجد فى ظلاله كل فرد ما يحتاج إليه فى الحياة و لكن وجود مثل هذا المجتمع لم يصعب تحقيقه حتى لدى الاشتراكيين باعترافهم أنفسهم وأن النظام الرائج فى روسيا فى أيامنا هذه يمر بالمرحلة الاشتراكية (Socialism) و قد نقلت فيها وسائل إنتاج الثروة من الملكية الفردية إلى الملكية الاجتماعية كما تولت الجماعة فيها توزيع الحاجات الضرورية على الأفراد بحيث لا يتم الانتاج و التوزيع إلا حسب الخطة المرسومة (Planning) من قبل للانتاج - والحق يقال أن كل فرد فى هذا النظام الآن لا يجد الحاجات الضرورية حسب حاجته هو بل حسب اجتهاده ونشاطه فى العمل ، وهذا ما أحدث التفاوت فى المجتمع الاشتراكى أيضاً إذ لا يمكن أن يتساوى جميع الأفراد من ناحية صلاحيتهم و نشاطهم للعمل، وقد بلغت نسبة

التفاوت بين أقصى الطبقات فى روسيا - حسب احصاءات استريجى - من واحد إلى خمسة عشر ، وهى و إن كانت تافهة بالنسبة إلى البلاد الرأسمالية تكفى للرد على دعاوى الاشتراكيين المموهة .

و قد يفهم أن الاشتراكية تدعو إلى المساواة الكاملة فى المعيشة و الاقتصاد ، و لكن المسؤلين الكبار من الاشتراكيين لم يأخذوا بهذه النظرية (١) بل ردوا عليها خلافاً للفكرة الشائعة بين الناس عن كون الاشتراكية مرادفة « للمساواة الاقتصادية » كما توحى به بعض عبارات ماركس و الكتاب الاشتراكيين الآخرين ، يقول السيد م ، ر ، مسانى (نظراً إلى انعدام التساوى بين طبقات العمال فى روسيا - ترى جماعة من الناس بأن روسيا قد تنحت عن غايتها الأساسية و أخذت بالرأسمالية الحكومية ، و لا ريب أن روسيا تجابه مشكلة عدم التساوى بدرجة هائلة أهمت كل اشتراكى إذ نرى العمال فى المصانع الصغيرة يرتبون من مأة و خمسين روبل إلى مأتين روبل شهرياً بينما يوحد فى نفس النظام أشخاص من المديرين و الممثلين و المؤلفين من لا تقل رواتبهم عن خمسة

(٢) « فكرة اعطاء جميع العمال رواتب متساوية » ردت من قبل ماركس و انجلز نظرياً و من قبل لينين و استالين عملياً نظراً إلى السبب المذكور آنفاً (استريجى) ص ١١٠ .

لا شك أنه كان هناك محاولة فى بدء أيام الثورة لاعطاء جميع العمال رواتب متساوية إلا أنها باءت بالفشل الذريع من الناحيتين العملية والنظرية فلم يؤخذ بها منذ زمان (بى تى جندرا ص١٣٥)

آلاف روبل شهرياً (١) و من مظاهر عدم التساوى التى لا تليق بالنظام الداعى إلى التساوى فى الاقتصاد وجود الدرجات المختلفة للركاب فى القطارات و كذلك الاسعار المتنوعة للتذاكر فى دور التفرج و منح الخطابات الرسمية للمسؤلين الكبار من بين الجند .

ولا يطمئن بال الاشتراكيين قول بعض الكتاب بأن مثل هذا التصور عن المساوات تصور « برجوازى » (٢) و مع كل هذا وذلك فان الاشتراكية ليست هى إلا « المساواة بمعناها الصحيح) .

و قد ذكر السيد مسانى عدة توجيهات لما يوجد فى روسيا من عدم المساواة ويفرق السيد مسانى بين الاشتراكية والاشتمالية مخالفاً بذلك عامة الاشتراكيين (Socialist) و الشيوعيين (Communist) وبما أن فكرة كون الاشتراكية مرادفة للمساواة الكاملة قد نادى بها عامة الاشتراكيين فان وجود التفاوت بين المجتمع الروسى لأكبر دليل على فشل الاشتراكية و كونها مخالفة للفطرة الانسانية و لهذا اضطر كل من لينين و استالين إلى ادخال كثير من التعديلات على نظريات ماركس الاقتصادية عندما أرادوا تطبيقها حرفياً كما يعترف به استريجى ، من كبار المخلصين للاشتراكية .

نلخص الموضوع فنقول إن الاشتراكية قد فشلت فى توزيع الثروة توزيعاً عادلا فاذا قيل بأنهم لم ينادوا بالمساواة الكاملة أبداً بل استبعدوا

(١) وطبقاً للبيان المذكور وصلت نسبة التفاوت فى روسيا من واحد إلى خمس و عشرين .
(٢) قاله الكامريد (مولوتار) (Molotar) .

إيجادها لأنها فكرة بورجوازية فهذا مما يثلج صدورنا و يبشرنا بالخير ، و أما إذا قيل بأنهم كانوا أولا ينادون بالمساواة فى الاقتصاد نظرياً إلا أنهم رفضوها أخيراً بعد تجارب عديدة فهذا اعتراف منهم بفشل الأشتراكية بالصراحة .

و سواء تمكنت روسيا من توزيع الثروة توزيعاً عادلا أم لم تتمكن فان الاشتراكية قامت على أساس غير طبيعى مسببة المشاكل فى المجتمع .

و إذا كانت الجماعة ـ تحت النظـام الاشتراكى ـ هى المالكة لجميع وسائل الانتاج و التوزيع ، فما هى إذاً هذه الجماعـة و من أى عناصر تتركب ؟ ؟ و لابد من هيئة إدارية تنتخب أعضائها الجماعة لتنفذ ادارتهـا ولابد لهذه الهيئة الادارية (Executive) ولو كانت منتخبة من سيطرة كاملة على الجماهير إذ تجمعت لديها جميع وسائل الرزق وليس للجماهير إلا أن تلجأ إليها طلباً للرزق و إذاً تصير لهذه الهيئـة نفوذ كامل فى إدارة الحكم بدون أن يكون لأحد اسم يسمع أو كلمة تقال أو شجاعة كافية وإبعادها عن كرسى الحكومة .

و إن كان للعمـال (فى مصنع من المصـانع) ـ تحت النظـام الرأسمـالى ـ حرية للاضراب عن العمـل و طلب الرزق فى مصانع أخرى لا يوجـد لاخوانهم الكادحين ـ فى ظل النظام الاشتراكى ـ حق و لا شريعة فلا يسمح الاضراب و لا النقل من مصنع إلى آخر ، حيث أصبحت المصانع فيها كمصنع واحد تشرف عليه الهيئة المذكورة فالى من تشكو إذا أردت الشكوى و إلى من تلتجئ إذا أضربت عن العمل فانها هى صاحبة المصنع وهى القوة الحاكمة فى آن

واحد فعلى البشرية و العدالة سلام فى مثل هذا النظـام الاستبدادى الذى ملك زمامه فئة من النـاس غرتهم نشوة الحكم و لا رادع يردعهم من مسؤلية أمام الله فى يوم المعاد .

و ما قلنـاه سابقاً مشاهد بالوضوح فى روسيا الاشتراكية ، فليست الدكتاتورية البروليتارية بأقل فساداً و أردى نتيجة من أى دكتاتورية أخرى ، و لقد سيطرت هناك جماعة من النـاس على جميع وسائل الرزق و على جميع مفـاتيح الحكم فمن تصدى لهم بالنقد والاعتراض فله المشنقة أو الرصاص ، وكم من ساسة كبار وقواد عظام ذاقوا مرارة الموت بين عشية و ضحاها بايعاز من استالين فلا حول و لا قوة إلا بالله و ليراجع إلى كتاب (لوئى فيشر) من أراد أن يطلع على مثل هذه المظالم والمهازل .

و من المفاسد الـكبرى لهذا النظام هو سد جميع الأبواب أمام شخصية من الشخصيات لترتقى وتتكامل فاذا كانت الحرية الكاملة قد غرت الجماهير فى النظام الجمهورى فان الاشتراكية بالعكس جعلت منهم كمادة خامة تستعملها كما شاءت حسب خطتها ، تسبكها فى أى قالب تشاء كسبك الحديد فى آلات أو قطع الجلد إلى نعال .

إن نمو شخصية الانسان و ارتقائهـا إلى الكمال لعلامة من علامات المجتمع الراقى الكامل فأى مجتمع حرم هذا حق له ألا يعد من المجتمعات الراقية المتحضرة .

في رياض الشعر والأدب

بدوى

ذكرى حبيب و منزل

الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى

بكى الشعراء على أطلال ديار الحبيب فى كل زمان و مكان ، لأن زيارة الأطلال ، تجدد الذكريات ، ذكريات اللقاء الحلوة ، وذكرى الوجد والشوق إلى اللقاء فكل دار بصاحبها تعرف ، وقد عرف كثيرون برثائهم ، و حنانهم إلى حبيبهم و منزله فخلدوا فى تاريخ الأدب معلقات لا يزال الأدب العربى يعتز بها ، و يدرسها كل طالب أدب ، و تاريخ ، فخلدت بها شخصيتهم ، و لم يكن لهم فى هذا الرثاء ، أو التغزل بدار الحبيب و رسوم الديار وأطلالها هدف إلا إطفاء حر فؤادهم المشعل ، و قد قال امرئ القيس فى لاميته المشهورة :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب و شمأل

و إن شفائى عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول

إن الحب عبارة عن وله وحنان و وجدان قلبى تتحكم فيه العواطف، وقد كانت الأندلس بمثابة دار الحبيب ، بتاريخها المجيد ، وعزها ، وقصورها الجميلة رائعة الفن ، و جمالها الخلاب ، فأثارت أحلى الذكريات و أقساها فى آن واحد ، و تتجدد هذه الذكريات فى الذهن كلما يزورها أو يمر باطلال ديارها شاعر نشأ على أحلى ذكرياتها ، رغم أن عينه لم تر جمالها فى عهد صباها فتبكى هذه الذكريات القلوب و حتى بعد مضى هذه المدة

الطويلة على ذيول هذه الزهرة .

و يسجل كل شاعر ذكرياته ، فمنهم من يبكى قصورها ، و حدائقها الغناء ، و منهم من يبحث فيها عن تلك الروح و حقيقة الجمال التى جعلتها جنة الأرض و صورة النعيم ، و قساوة تلك اليـــد الآثمة التى شوهت وجههـــا الجميل ، و يختلف فى وصفها شعراء حسب ذوقهم ، و اتجاههم الأدبى و الفكرى ، فمن شاعر يقف و يبكى من ذكرى الحبيب و داره ، و يرسل عبراته عليه ؛ و شاعر مفكر يقول :

« ليست الحمراء فى غرناطة . و قصر التاج فى آجرا اللذان خضع لجمالهما و جلالهما كبار الفنانين الناقدين و عظماء العباد الزاهدين ، ليس إلا صدقة من صدقات بعثته » .

عاش أمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٦٨ - ١٩٣٢م) و الشاعر و المفكر الاسلامى الهندى الشهير محمد إقبال (١٨٧٧ - ١٩٣٨م) عصر النهضة العلمية التى غزت فيها المادة و العلم على الروح ، و الفكر الصميم ، و الذوق الشرقى الأصيل ، و بسطت نفوذهاو حلت مشاعر القومية والولاء إلى الطوائف والمذاهب الفكرية المستوردة محل القرابة الاسلامية والاعتزاز بالتراث الاسلامى ، و قد زار الشاعران ، شوقى و إقبال ، « الأندلس » و خلدا ذكرياتهما فى قصائد رائعة تصور وجدهما على فراق الحبيب الذى تجددت ذكرياته فى الأطلال ، و القصور التى شيدهـا و عاش فيها دهراً ، و مهما اختلف اتجاه الشاعرين و وصفهما لآثار العز و المجد فان الحبيب واحد .

يقول أمير الشعراء شوقى تمهيداً لقصيدته :

« لما وضعت الحرب الشعرية أوزارها ، و فضحها الله بين خلقه و هتك إزارها ، و رمم لهم ربوع السلم و جدد منارها أصبحت و إذا العوادى مقصرة ، والدواعى غير مقصرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب و النفس بحق زيارته أطلب فقصدته من برشلونة » « فبلغت النفس بمرآه الأرب ، و اكتحلت العين فى ثراه بآثار العرب » .

و يقول شوقى : « وكان البحترى رحمه الله رفيقى فى هذا الترحال و سميرى فى الرحال » (١) فاقتدى شوقى بقصيدة البحترى فى ذكرى إيوان كسرى التى مطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى و ترفعت عن ندى كل جبس

فكلما وقف بحجر ، و طاف بحجر تمثل بأبياته و أنشد قائلا :

اختلاف النهار و الليل ينسى أذكرا لى الصبا و أيام أنسى
وصفا لى ملاوة من شباب صورت من تصورات ومس
عصفت كالصبا اللعوب ومرت سنـــة حلوة و لذة خلس
و سلا مصر هل سلا القلب عنها او أسا جرحه الزمان المؤسى

★★★

يا ابنة اليم ما أبوك بخيل ماله مولعا بمنع و حبس
أحرام على بلابله الدوح و حلال للطير من كل جنس
كل دار أحق بالأهل إلا من خبيث من المذاهب رجس
نفسى مرحل و قلبى شراع بهما فى الدموع سيرى و أرسى

★★★

من لحمراء جللت بغبار الد هر كالجرح بين برء و نكس

(١) الشوقيات ج ٢

حصن غرناطة ودار بنى الأ حمر من غافل و يقظان نادس

★★★

سرمد شيبه و لم أر شيئاً قبله يرجئ البقاء و ينسى
عرصات تخلت الخيل عنها واستراحت من احتراس وعس
و مفانيحها مقاليد ملك باعها الوارث المضيع ببخس
خرج القوم فى كتائب صم عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا البحار نعشا وكانت تحت آبائهم هى العرش أمس
حسبهم هذه الطلول عظات من جديد على الدهور ودرس

و تجددت آلام أحمد شوقى فى نكبة دمشق فقال :

بالأمس قمت على الزهراء أبثهم و اليوم دمعى على الفيحاء هتان
لو لا دمشق لما كانت طليلة و لازهت بنى العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون أسأله هل فى المصلى أو المحراب مروان
فلا الأذان أذان فى منارته إذا تعالى و لا الآذان آذان

إنها إكليل دموع وضعه الشاعر العربى الذى جاشت قريحته ؛ على قبور أمجاد العرب، و لم يكن فى وسعه إلا ان يبكى على المجد الذى عصفت به الرياح العاتية ، لتقلبات الأيام .

و زار الأندلس شاعر الهند العظيم محمد إقبال قبل الحرب العالمية فوقف فيها وقفة مذهلة ، فقد كان حزنه وأساه على هذه الخسارة التى منيت بها الأمة الاسلامية حزناً مضاعفاً ، إنه لم يتعود على أن يبكى على أطلال الديار ، أو الحدائق و إنما كان حزنه على خسارة من عمروها ، فكان يلقى نظرة على تلك المبانى الصماء الخالية و الجوامع التى دوى فيها الأذان قروناً فتجددت آلامه و تذكر أهلها الذين رفعوا هذه المبانى

و شيدوها و تذكر العقيدة التى كانوا يدينون بها ، و رسالتهم التى كانوا يعيشون لها ، فجاءت قريحته الوقادة المسلمة بقصيدة خالدة أثناء زيارته لجامع قرطبة ، قال فيها :

تدين أيها المسجد العظيم فى وجودك لهذا الحب البريئ
و هذه العاطفة القوية التى كتب لها الخلود .
إنها لا تعرف الزوال و الانقراض .
إن البدائع الفنية إذا لم ترافقها العاطفة و دم القلب و الحب .
أصبحت مصنوعات سطحية من لون أو قرميد أو حجر .
أو لقطة كتابة أو صوت لا حياة فيها و لا روح .

★★★

إن المعجزات الفنية لا تعيش إلا بالحب ، ولا تقوم إلا على العاطفة و الاخلاص .

الحب هو الذى يفرق بين قطعة من حجر وقلب خفاق حنون للبشر فاذا فاضت منه قطرة على الحجارة الصماء خفقت و عاشت ،
و إذا تجردت عنه القلوب الانسانية جمدت و ماتت .

و يقول فى عقيدة مؤمن و دلال شاعر محب :

« إن بينى و بينك أيها المسجد العظيم
نسباً فى الايمان والحنان ، و تحريك العاطفة و إثارة الأحزان (١) »

و قد يتساءل المرء ما علاقة شاعر الهند العجمى بآثار العرب ، البعيدة فى أرض الأندلس ، إنها ليست بمقدسات فرض تقديسها ، فيجيب الشاعر نفسه على هذا السؤال بعد أن أظهر نسبه فى الايمان ، فقال :

(١) روائع إقبال للاستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى .

أنظر أيها المسجد إلى هذا الهندى الذى نشأ بعيداً عن مركز الاسلام و مهد العروبة ، نشأ بين الكفار و عباد الأصنام كيف عمر قبله الحب و الحنان ؛ و كيف فاض قلبه و لسانه بالصلاة على نبى الرحمة الذى يرجع إليه الفضل فى وجودك . كيف ملكه الشوق و كيف سرى فى جسمه و مشاعره التوحيد و الايمان » .

و أخيراً يخاطب أسبانيا و هو يقصد العودة ؛

« أسبانيا أنت أمينة دم المسلم

مثل الحرم مقدسة فى عينى .

آثار السجود مدفونة فى ترابك .

و آذان صامته يتناقلها نسيمك »

هذه هى الدموع التى أرسلتها العيون على ذكريات الأندلس ، وقد تغنى بها شعراء فى أيام مجدها ؛ و رثاها شعراء بعد درسها ، إلا أن هذه القصائد الطويلة التى تضمها الدواوين ، و يضيف إليها الشعراء و الأدباء بأدوارهم تحمل درساً وعبرة ، فقد ذهبت مثل الأندلس قلع الجمال والفن و حصون القوة و المناعة ، و أبطال لم يعرفوا الهزيمة ، و التراجع ، و ساسة و حكماء خضعت لهم الجبابرة و الأباطرة ، فى مجاهل التاريخ ، و الأمر الذى يميز الأندلس أنها استرعت هذا الانتباه منقطع النظير من الشعراء و الأدباء ، لأنها كانت مركز العلم و الفن ، و مهد الحضارة و الثقافة ، و قد واجهت دويلات اسلامية أخرى مصير الأندلس ؛ ولم يبق لها أثر ، ولم يذكرها شاعر أو كاتب ، و ستظل الأندلس درساً و عبرة للاجيال الحاضرة و القادمة .

ربانيون

الأستاذ أرشد حسين الندوى
(جامعة لكهنؤ) ـ الهند

عامر بن شراحيل الشعبى

إن علم الحديث الشريف من أعظم موارد شريعة الاسلام و منابعها ومنه تفرعت علوم كثيرة من فقه و أخلاق ومن مناهج الحياة القويمة للمسلمين و على هذا المدد العظيم يعيش المسلمون محتفظين بدينهم وشريعتهم الاسلامية الطاهرة ، ولكن كيف وصل إلينا هذا العلم الشريف وكيف حفظ من الضياع و كيف خدمه أسلافنا الكرماء ؟ فانما هى صفحة نيرة فاخرة حق لنا أن نغتبط بها اغتباطاً كبيراً ونعترف بالفضل لهؤلاء الأسلاف العظماء من رجال الحديث وناقليه الأمناء و خدمته الكرماء ، وأن نعرف مآثرهم فى هذا العمل و جهدهم وسعيهم الحثيث لصيانة هذا التراث الدينى الأساسى العظيم و نشره و إبلاغه إلى من يعتنى به و يستفيد منه و يعتصم به من أبناء الأمة الاسلامية لأمد غير منقطع من حياة الاسلام و المسلمين .

و بهذه المناسبة أقدم إلى القراء شخصية كبيرة من رجال الحديث الأوائل وهو العالم التابعى الجليل عامر بن شراحيل الشعبى رحمه الله تعالى ، و لقد جمعت وصف هذه الشخصية

الجليلة من أمهات كتب الرجال و التاريخ ، و لم أزد عليها إلا النسق للمقتبسات وإيجاد الربط وإضافة بعض الاشارات .

نشأ عامر بن شراحيل فى الكوفة وهو تابعى جليل القدر وافر العلم عالى الكعب فى علم الحديث والفقه ، وكان حافظاً إماماً لعصره ذا فنون ، و كان من أولئك الأئمة الأعلام الذين أكرمهم الله بالتبحر فى كل نوع من أنواع العلم .

كنيته أبو عمرو وكان الشعبي من شعب همدان .

مولده : اختلف العلماء فى تاريخ ميلاده ، قال قتادة :

« ولد الشعبى لأربع سنين بقين من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه » و قال خليفة بن خياط : « ولد الشعبى والحسن البصرى فى سنة إحدى و عشرين » و يقول الأصمعى : « فى سنة سبع عشرة بالكوفة » و روى عن الشعبى أنه قال « ولدت سنة جلولاء وهى سنة تسع عشرة (١).

وكانت أمه من سبى جلولاء ، وكان الشعبى ضئيلا نحيفاً ، قيل له يوماً : ما لنا نراك ضئيلا فقال زوحمت فى الرحم ، وكان قد ولد هو وأخ آخر فى بطن (٢) .

تحصيله لفن الحديث : و قد أدرك الشعبى خلقاً من الصحابة و التابعين و استفاد منهم ما عندهم من الحديث و الفقه حتى أصبح كنزاً من الحديث و الفقه ، و روى عن الصحابة و عن جماعة من التابعين .

قال الامام الذهبى : « روى عن على فيقال مرسل و عن عمران بن حصين و جرير بن عبد الله و أبى هريرة و ابن عباس و عائشة

(١) ابن خلكان (٢) أيضاً . .

و عبد الله بن عمرو وعدى بن حاتم والمغيرة بن شعبة وفاطمة بنت قيس و خلق » (١) .

قال الشعبى : « أدركت خمس مأة من الصحابة » قال العجلى : « سمع من ثمانية و أربعين من الصحابة » و أقام الامام الشعبى مع عبد الله بن عمر ثمانية أشهر أو عشرة أشهر فسمع من ابن عمر (٢) .

إن الشعبى كان شغوفا بالحديث و قد احتمل شدائد فى سبيل أخذ الحديث ، قال ابن المدنى للشعبى : من أين لك هذا العلم كله ؟ قال : بنفى الاغتمام ، و السير فى البلاد ، و صبر كصبر الحمام ، و بكور كبكور الغراب » (٣) .

تقواه فى تعاطى الحديث : قال الشعبى : « إنما كان يطلب هذا العلم من جمع النسك و العقل فان كان عاقلا بلا نسك قيل هذا لا يناله و إن كان ناسكا بلا عقل قيل هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، ثم قال : و لقد رأيت اليوم يطلبه من لا عقل له و لا نسك » (٤) .

قوة ذاكرته : إن ذاكرة الامام الشعبى كانت عظيمة فاذا سمع الحديث حفظه بسهولة و ألقى من أوله إلى آخره كما سمعه ، وكان يقول الشعبى : « ما كتبت سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا و لا حدثنى رجل بحديث قط إلا حفظته و لا أحببت أن يعيده على ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه أحد لكان به عالماً .

سعة اطلاعه فى الحديث : كانت رغبة الشعبى لعلم الحديث شديدة

(١) تذكرة الحفاظ . (٢) تهذيب التهذيب (٣) تذكرة الحفاظ (٤) أيضاً .

فتفرغ له و مهر فيه حتى أصبح محدثاً عظيماً فى عصره و هو يقول : « ما سمعت عشرين سنة من رجل يحدث بحديث إلا و أنا أعلم به منه » (١) قال عاصم الأحول : « ما رأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة و البصرة و الحجاز من الشعبي ، مر ابن عمر بالشعبي و هو يحدث بالمغازى فقال : « شهدت القوم و هذا أحفظ لها و أعلم بها منى » (٢) وقال مكحول : « ما رأيت أحداً أعلم بسنة ماضية منه » (٣) قال داؤد بن هند فى جلالة علمه : « ما جالست أحداً أعلم من الشعبي » قال أبو حصين : « ما رأيت أعلم من الشعبي » فقال له أبو بكر بن عياش و لا شريح فقال تريدنى أكذب . ما رأيت أعلم من الشعبى » (٤) .

احتياطه فى رواية الحديث : قال الشعبي : « كره الصالحون الأولون الاكثار من الحديث و لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث » (٥) .

قال الصلت بن بهرام : « ما رأيت رجلا بلغ مبلغ الشعبي يقول لا أدرى » (٦) .

قال ابن عون : « كان الشعبى منبسطاً و كان ابراهيم منقبضاً فاذا وقعت الفتوى انقبض الشعبي و انبسط ابراهيم (٧) إن عامراً الشعبي سئل عن شئ فلم يكن عنده فيه شئ فقيل له قل برأيك ، فقال وما تصنع برأى ؟ بل على رأى (٨) .

(١) تذكرة الحفاظ (٢) تذكرة الحفاظ (٣) طبقات ابن سعد
(٤) تذكرة الحفاظ (٥) تهذيب التهذيب (٦) تذكرة الحفاظ
(٧) طبقات ابن سعد .(٨) أيضاً

قال أبو شهاب عن آدم : « إن رجلا سأل ابراهيم عن مسئلة فقال لا أدرى فمر عليه عامر الشعبي فقال للرجل سل ذاك الشيخ ثم ارجع فأخبرنى فرجع إليه قال قال لا أدرى قال ابراهيم هذا والله الفقه » (١) .

منصب القضاء : كان الشعبي قضى فى زمن عمر بن عبد العزيز قال محمد بن سعد « كان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب والى عمر بن عبد العزيز على العراق فولى عامر الشعبي قضاء الكوفة » (٢) .

قال أبو أسامة : « قدمت إلى الشعبي غريماً لى عليه دراهم أبن لم تعطه أو جاء بك مرة أخرى لأجسنك و لو كنت ابن عبد الحميد » (٣)

نزاهته و تقواه فى الاشتغال بالعلم : يقول الشعبي : « ليتنى انفلت من علمى كفافاً لا على و لا لى » (٤) .

قال عبيد الله بن موسى : « سمعت الشعبي : « يقول والله لوأصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت لا عدد أعلى من تلك الواحدة » (٥) .

علمه بالشعر : نال الشعبي حظاً وافرا من الأدب و الشعر ، كان يحفظ من الأشعار ما لا يحصى كثرة ، قال الشعبي : « ما أروى شيئاً أقل من الشعر و لو شئت لأنشدنكم شهراً لا أعيد » (٦) .

أخلاقه و سلوكه : قال أشعث بن سوار : « لقى الحسن العشبي فقال كان والله كثير العلم ، عظيم الحلم ، قديم السلم من الاسلام بمكان» (٧)

و كان يقول الشعبي : « ما حللت حبائى إلى شئ مما ينظر الناس إليه ولا ضربت مملوكا قط ، وما مات ذو قرابة لى وعليه دين إلا قضيته

(١) طبقات ابن سعد (٢) تذكرة الحفاظ (٣) ابن سعد (٤) ابن سعد
(٥) تذكرة الحفاظ(٦) طبقات سعد (٧)تهذيب التهذيب (٨)أيضاً .

عنه » (١) .

قال داؤد الأودى قال لى الشعبى : قم معى هاهنا حتى أفيدك علماً بل هو رأس العلم ، قلت : أى شئ تفيدنى ؟ قال إذا سئلت عما لا تعلم فقل الله أعلم منى له علم حسن ، و قال لو إن رجلا سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعاً ، ولو سافر فى طلب الدنيا ، أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد لرأيت سفره عقوبة و ضياعاً ، و قال العلم أكثر من عدد الشعر فخذ من كل شئ أحسنه » (٢) .

حلقة تعليمه : كانت له حلقة درس الحديث يتعلم فيها طلاب الحديث فانتفع به كثير من الناس و أصبح مرجعاً للخلائق ، قال ابن سيرين : « قدمت الكوفة و للشعبى حلقة و أصحاب رسول الله ﷺ كثير » (٣) و لا يحب الشعبى كثرة الطلاب فى حلقة الدرس و كان يقول : « إذا عظمت الحلقة فانما هو نداء أو نجاء » (٤) .

كان الشعبى لا يقوم من مجلسه حتى يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده و رسوله و أن الدين كما شرع ؛ وأشهد أن الاسلام كما وصف وأشهد أن الكتاب كما أنزل و أن القول كما حدث ، و أشهد أن الله هو الحق المبين » (٥) .

تلاميذه : روى عنه الحديث جماعة كثيرة من التابعين ، من أمثال اسماعيل بن أبى خالد و أسود بن سواد و داؤد بن أبى هند و زكريا بن

(١) ابن كثير (٢) تذكرة الحفاظ (٣) ابن سعد (٤) تذكرة الحفاظ (٥ أيضاً .

أبى زائدة و ابن عون و يونس بن أبى اسحاق و خلق (١) .

التفقه : كان له شغف زائد بالفقه و اعترف العلماء بفضله و تفوقه فى هذه الناحية ، وكان الشعبى من الفقهاء البارزين كانت له قدرة تامة على استنباط و ادراك المعانى ، وكان متفوقا على معاصريه و عمدة ومرجعاً فى الحديث و وحيد عصره فى الفقه .

عن أبى مجاز قال : « ما رأيت أحداً أفقه من الشعبى لا سعيد بن المسيب و لا طاؤس و لا عطاء و لا الحسن و لا ابن سيرين » (٢) قال مكحول : « ما رأيت أفقه منه » (٣) قال أبو جعفر الطبرى فى طبقات الفقهاء « كان ذا أدب و فقه و علم » (٤) قال الامام الذهبى : كان إماماً حافظاً فقيهاً متفنناً ، قال أبو حصين : « ما رأيت أحداً أفقه من الشعبى » (٥) عن أبى بكر الهذلى قال قال لى ابن سيرين : الزم الشعبى فلقد رأيته يفتى و الصحابة متوافرون » (٦) .

(١) تذكرة الحفاظ (٢) أيضاً (٣) تهذيب التهذيب (٤) تهذيب التهذيب (٥) تذكرة الحفاظ (٦) أيضاً .

كفاح المسلمين فى جنوب التايلاند

بقلم :— الأستاذ دنس ووقر
(محاضر التاريخ الاسلامى المعاصر)
و بنـاءات الاســلام الاجتماعيــة
جامعــة ملبورن — أستراليا

بدأت بوادر تحركات رجال الثورة المسلمين فى جنوب الطايلاند تقلق بال حكام بانكوك بعد فشل قمع الثورة . ويأتى تذمر السكان الملاويين فى الجنوب من إهمال هذا الجزء من البلاد و تركه فقيراً دون تنمية اقتصادية بحكم بعده وتخلفه . وقد بادر مدير الأمن فى جنوب الطايلاند إلى الالتحاق بعين المكان وتفقد مسرح العمليات ، كما قام من قبله المفتش العام لوزارة الداخلية بتفقد مقاطعات الجنوب الثلاث .

و رغم أن مثل هذه الأشياء قليلة جداً فى الصحف ، و لا يكاد أمرها يصل إلى الرأى العام العالمى عموما و المسلم خصوصاً فان الصحيفة الأسترالية (ذى سان) عقبت على هذه الأحداث فى عدد ٤ نوفمبر المنصرم بمراسلة كتبها الصحفى « جون هوفمان » مما جاء فيها .

«تسبب أعمال المجاهدين الملاويين الذين يريدون ضم مقاطعات تايلاندا الجنوبية إلى مليسيا (المسلمة) فى قلق لحكام بانكوك الذين بدأوا فى إعادة تنظيم صفوف رؤساء الشرطة فى المنطقة بعد فشلهم فى محاولة قمع الثورة .

وتقول أخبار فى بانكوك إن المسؤل عن الشرطة فى الجنوب الجنرال تشامرات والذى يقوم حالياً بجولة فى المقاطعات المتأخمة لمليسيا قد أكد فى حديث له أن غاية الثوار — على حد زعمــه — هى (فصل المقاطعات الجنوبية من إدارة الحكومة المركزية) .

وجولة الجنرال تشامرات ذات مغزى عميق لأنها جاءت عقب جولة قام بهــا منذ أيام معدودة المفتش العام لوزارة الداخلية السيد كامنتشات لمقاطعات الجنوب الثلاث . و لا يستبعد أن يتخذ المسؤلان المــذكوران قراراً حول توسيع صفوف رجال الشرطة بعد اللقاءات و المباحثات التى يجريهــا الجنرال تشامرات فى الجنوب مع حكام الأقاليم الثلاثة و رؤساء الشرطة فيها .

و بالاضافة إلى ذلك ستنظم الحكومة جسراً من المواصلات بغاية فتح الطريق أمام المؤن العسكرية نحو الادارة المحلية و الشرطة فى الجنوب بعد الشكايات المتكررة من عدم وصول الرواتب إلى ميدان القتال وضآلة أجور الموظفين و عدم وجود مثاوى كافية للشرطة الطلايلاندية .

أما المقاطعات الثلاث التى تفشت فيها الثورة أكثر فهى ناراثيوات و يالا و باتانى ، و يحاول الثوار المسلمون حشد التذمر الذى يتفشى بين جماهير الملاويين و هم أكثرية السكان فى الجنوب لصالح الانضمام لمليسيا .

وتنتج ثورة المسلمين من دافع إهمال حكومة بنكوك لتنمية المقاطعات الجنوبية البعيدة عمــا اندلعت معه الثورة التى تنــادى باستقلال الجنوب و اندماجه ، فى اتحاد مع مليسيا التى تشبهها ثقافياً و دينياً .

من هم الثوار ؟ لماذا ثاروا ؟

يقول نضال الثلاثة مليون مسلم فى جنوب تايلاند « بابك إدريس » وهو رئيس جبهة التحرير الوطنى للجمهورية الباتانية . إن باتانى هو الاسم القديم للدولة الاسلامية السابقة فى جنوب تايلاند التى فتحها التايلانديون فى القرن الثامن عشر فقسموا الوطن الاسلامى الواحد الكبير فى سبع ولايات صغيرة لكى يدوم حكمهم الجائر عليه ، و رغم ثورات إسلامية متعددة استطاع المحتلون التايلانديون طمس معالم الاسلام و عروبة باتانى فألغوا حكم الملوك الملاويين الشكلى وطردوا اللغتين الملاوية و العربية من المدارس الحكومية و أجبروا الطلبة المسلمين على اتخاذ أسماء تايلاند لكى يدخلوا المدارس و الوظائف الحكومية ، وألغوا أحكام الشريعة الاسلامية التى كانت جارية فى المحاكم و بدأوا يستوردون مستوطنين تايلانديين لكى يجعلوا المسلمين أقلية فى وطنهم . و أعدموا كل القواد و العلماء الملاويين الذين طلبوا بحقوق شعبهم وأبرزهم الحاج سولونغ . فانبثقت الثورة الباتانية من ثرى الوطن لاسترداد الحرية من الغاصب .

نجاحات الثوار المسلمين :

و فى مراسله أخرى إلى جريدة «دى هيرالد » ١٣-١١-١٩٧٠ م الأسترالية اعترف جون هوفمان أن « الانفصاليين الملاويين و العصابات الشيوعية قد بدأوا يربحون المعركة ضد الحكومة فى طول الأراضى الممتدة من برزخ كرا إلى حدود مليسيا ، و لكن الحكومة التلايلاندية لم تأذن لمليسيا بأن تدخل جنودها فى المعركة ضد العصابات الشيوعية الصينية التى فرت من مليسيا لأنها تخاف أن الجنود المسلمين الملاويين سينضمون إلى صفوف المجاهدين لتحرير الأراضى المسلمة المحتلة من نير بانكوك ، فقال

رئيس وزراء تايلاند « يمكننا الغلبة على الثوار الانفصاليين بوحدنا » .

إن هيئة الاذاعة الأسترالية الشبه الرسمية أذاعت مراسلة من ممثلها فى بانكوك بتاريخ ٢٨-١١-١٩٧٠ اعترفت ضمناً أن المجاهدين المسلمين منظمون تنظيما عسكرياً محكما ، فأسرت الشرطة التايلاندية معسكر تدريب للمجاهدين فى مقاطعة يالا الجنوبية على حدود مليسيا ، كانت لهذا المعسكر كل المرافق و التسهيلات لسكنى سبعين مجاهداً و مصنع أسلحة ، كان عامراً بالرجال بضع ساعات قبل وصول الشرطة .

و فى أول ديسمبر أعلن ناطق تايلاندى فى بانكوك أن حكومته قد قبضت على ثلاث مأة مسلم مؤيدين لجبهة التحرير الوطنى للجمهورية الباتانية فى مقاطعات الجنوب ، و لكن جنود الحكومة فى حملتهم ضد الثوار لم يقتلوا سوى عشرة منهم ، مما يدل على أن الحكومة التايلاندية قد انهارت قواتها فى الجنوب أمام مهاجمات الثوار المسلمين .

أخبار اجتماعية و ثقافية

اجتماع هام فى تاج المساجد (بهوپال)

فى ٢٧ من شهر صفر ١٣٩١هـ المصادف ٢٤ من إبريل ١٩٧١ م اجتمع فى تاج المساجد بهوپال (الهند) كبار رجال العلم و الدين بمناسبة وضع الحجر الأساسى للجزء الشمالى الناقص من تاج المساجد فى بهوپال ، و قد كان من المقرر أن يتم وضع الحجر الأساسى على يد سفير المملكة العربية السعودية سعادة الشيخ أنس يوسف ياسين ، ولكنه فوجئ بحادث وفاة بعض أقربائه قبل الموعد بيومين ولم يتمكن من الحضور فبعث سعادة الشيخ يوسف مطبقانى القائم بأعماله إلى بهوپال ، حيث عقد حفل كبير فى رحاب تاج المساجد الواسعة رتبه فضيلة الشيخ محمد عمران خان الندوى أمير دارالعلوم لتاج المساجد وحضر الحفل العالم الكبير والكاتب القدير الأستاذ عبد الماجد دريابادى وألقى كلمة بالمناسبة ، وقد افتتح الحفل سماحة الأستاذ الكبير السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام بكلمة قيمة أشاد فيها بالعمل العظيم الذى حمل لواءه الشيخ محمد عمران خان الندوى ورحب بالضيف الجليل الممثل السعودى، وذكر صلته بالمسجد الحرام الذى هو أول مركز للدعوة الاسلامية و مصدر النور الذى أضاء العالم كله .

ظل تاج المساجد مهجوراً ناقص البناء منذ وفاة بانيته شاهجهان بيكم سنة ١٩٠١م وفى سنة ١٩٤٨م تولى الاشراف عليه فضيلة الشيخ محمد

عمران الندوى بعد ما أدرك أهميته ، و أراد أن يحقق حلم بانيته بتأسيس مركز علمى كبير فى أروقته و على أرضه الموقوفة و هناك تصدى لهذا العمل الجليل و أسس فيه دار العلوم وهو منذ ذلك الوقت باذل جهوده فى إنجاز أعمال البناء و تكميل الأجزاء الناقصة للجامع حتى يكون مصدراً للاشعاع الدينى والعلمى ومركزاً كبيراً للدعوة الاسلامية فى الولاية المتوسطة .

و لا شك أن الاسهام فى هذه المبرة العظيمة واجب المسلمين فى العالم الاسلامى كله ، نظراً إلى أهمية هذا المشروع الخطير ، و تكميلا لبناء تاج المساجد و دار علومه .

إن إنجاز هذا المشروع معناه تأسيس مركز علمى دينى كبير فى الهند المتوسطة ، و بناء معقل لتربية النشئ الاسلامى و الشباب المسلم ، و مهما توفرت وسائل التعليم و الثقافة و تطورت أسبابها فى هذا العصر ، ولكن التربية الاسلامية الصحيحة حاجة الشباب المسلم الأكيدة اليوم ، والمسلمون بألح حاجة إلى بناء مراكز التربية و الدعوة ، و بناء معاقل تجمعهم على هدف واحد ، و تربى فيهم روح الكفاح و مقاومة الفساد .

★ علم أن الحركة الانفصالية التى أقيمت فى باكستان الشرقية تحت قيادة الشيخ مجيب الرحمن فى آخر أسبوع من مارس الماضى قد تخففت شدتها إلى حد أقصى .

وتفيد الأنباء أن قوات باكستان المركزية قد سيطرت على معظم معاقل عصبة عوامى و أعيدت الأوضاع فى الجزء الشرقى من باكستان إلى مجراها الطبيعى ، بيد أن التحرشات و الاشتباكات جارية بين القوات الباكستانية و مؤيدى مجيب الرحمن فى بعض القرى .

وجاء فى نبأ آخر أن جمهورية الصين الشعبية قد أيدت موقف يحيى خان الرئيس الباكستانى إزاء باكستان الشرقية التى رفضت الخضوع لقوانين البلاد الشرعية . و اعتبرت موقف يحيى الرحمن و مؤيديه خرقا لحرمة البلاد ، ووعدت بمساعدتها فى حالة العدوان عليها من أى بلد كان .

و يقول نبأ آخر ، إنه قد شكلت حكومة البنغال الشرقية وأعلن ذلك فى حديقة المانجو فى مكان مجهول و لا زال الشعب الهندى تطالب الحكومة الهندية بالاعتراف بهذه الحكومة المزعومة ، ولو لم تتخذ الحكومة أى قرار معين بهذا الصدد .

و نبأ آخر يفيد أن الهنود يجمعون الأموال فى كل قرية و مدينة من الهند لمساعدة البنغاليين .

وعلم أن الحكومة الباكستانية لا زالت تتهم الحكومة الهندية بمساعدتها الانفصاليين عن طريق النقود و الأسلحة و الذخائر ، و الرجال المتسللين والضغط السياسى على حكومات الدول الأخرى ، كما أنها اتهمتها بتدخلها فى شؤنها الداخلية انتهاكا لحرمة القوانين الدولية .

★ يقول نبأ موثوق به أن المستر آدم ملك وزير خارجية إندونيسيا قد صرح بأن بلاده لا تسع لها أن تعترف بحكومة « بنغلا ديش » وذلك لأن بلاده لا تحب الانفصال ولا التفريق و التشتيت فى أى بلد من البلاد ، كما أنه أوضح بأن إندونيسيا تعتبر هذه المسألة مسألة باكستان الداخلية ، و لا يحق لأى بلد آخر أن يتدخل فى شؤنها الداخلية .

ملکیت کے بارے مین بیان

اخبارات کے رجسٹریشن (مرکزی) قواعد سنه ١٩٦٥ ء کے قاعده نمبر ٨ کے ما تحت حکومت هند کی وزارت اطلاعات و نشریات کا مطلوبه بیان ملکیت و دیگر تفصیلات ۔

١ - مقام اشاعت - - - لکهنؤ ۔

٢ - و قفه اشاعت - - - - - ماهانه

٣ - پرنٹر ٤ - پبلیشر - ٥ اڈیٹر کا نام - - - - محمد الحسنی

قومیت - - - - - - هندوستانی

پته - - - ٣٧ گوئن روڈ لکهنؤ

٦ - مالک - - - - ندوة العلماء لکهنؤ

مین محمد الحسنی اعلان کرتا هون که — مندرجه بالا تفصیلات جهانتک میری اطلاعات کا تعلق هے صحیح هین —

محمد الحسنی